

2272
624
364

2272.624.364

Ma'ruf

al-Madrasah al-Sharabiyah

DATE

ISSUED TO

DATE ISSUED

DATE DUE

DATE ISSUED

DATE DUE

JUL 13 MAY 31 66

~~APR 26 MAY 2 66~~

RETURNED JUN 5 70

Princeton University Library



32101 072566605

PRINCETON UNIVERSITY PRESENTS
THE HELENA WOOLWORTH McCANN
MEMORIAL ORGAN RECITAL

Carl Weinrich

PROGRAM OF COMPOSITIONS BY J. S. BACH

Toccata and Fugue in F Major (S 540)

Passacaglia and Fugue in C Minor (S 582)

Fifth Sonata in C Major (S 529)

Allegro—Largo—Allegro

Prelude and Fugue in G Major (S 541)

PRINCETON UNIVERSITY CHAPEL

SUNDAY, JANUARY 16, 1966

3:30 P.M.

المدرسة الشريفة

أو

”القصر العباسي“ في قلعة بغداد

تأليف

ناجي معروف

أستاذ التاريخ الاسلامي
ورئيس قسم التاريخ في كلية الآداب
بجامعة بغداد

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الاولى - ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م

بغداد - مطبعة العاني

Ma'rūf, Nājī

al-Madrasah al-Sharābiyah

المدرسة الشرايبيّة

أو

”القصر العباسي“ في قلعة بغداد

تأليف

ناجي معروف

أستاذ التاريخ الاسلامي

ورئيس قسم التاريخ في كلية الآداب

بجامعة بغداد

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الاولى - ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م

بغداد - مطبعة العاني

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد حفلت بغداد منذ منتصف القرن الخامس الهجرى ، بعدد كبير من المعاهد العلمية الكبرى القائمة بذاتها والمستقلة عن الجوامع ، بلغ عددها في سنة ٥٨٠هـ (١١٨٤م) عندما زار ابن جبير بغداد « ثلاثين » مدرسة كلها في الجانب الشرقي منها • وازداد عددها بعد ذلك حتى بلغ « ٣٨ » مدرسة عندما سقطت بغداد بيد المغول سنة ٦٥٦هـ (١٢٥٨م) وذلك ما عدا دور القرآن ، ودور الحديث ، وحلقات المساجد ، وأماكن الدراسة الأخرى • وقد ظل أكثر هذه المدارس قائما في عهد المغول حتى أيام تيمورلنك الذى غزا بغداد مرتين فى سنة ٧٩٥هـ و٨٠٣هـ ، ودمرها تدميرا شديدا فاق التخريب الذى حل بها على يد هولاكو سنة ٦٥٦هـ • وقد أصاب هذا التخريب كثيرا من مدارس بغداد ، ومكتباتها الشهيرة ، ولم يبق مائلا من مدارسها القديمة ببغداد اليوم الا :

١ - المدرسة المستنصرية التى استمر فيها التدريس أربعة قرون من سنة ٦٣١هـ حتى القرن الحادى عشر الهجرى •
٢ - المدرسة المرجانية التى فتحت سنة ٧٥٨هـ (١٣٥٦م) وقد حولت الى جامع تقام فيه صلاة الجمعة والعيدى ، يتبعه مدرسة صغيرة تتولى شؤونها مديرية الاوقاف • وقد هدمت المدرسة ، والجامع سنة ١٣٦٨هـ (١٩٤٨م) لتعديل شارع الرشيد ، ما عدا باب المدرسة الرئيس المزين بالزخارف ، والكتابات الآجرية ، من جهتي الشارع والرحبة من عهد « أمين الدين مرجان » • ونقل المصلى بكتاباته ، وجزء من زخارفه الآجرية الرائعة ، الى مكان صحنها ، واىوانها القديمين •

٣ - بناية فخمة فى « قلعة بغداد » نرى انها « المدرسة الشراية » وهى « المدرسة الشرفية » أو « الاقبالية » نسبة الى مقدم الجيوش ابنى الفضائل « شرف الدين ، اقبال الشرايى » الامير الذى عاش فى خلافة المستنصر والمستعصم وتوفى فى سنة ٦٥٣هـ • وقد شرع بالتدريس فيها سنة ٦٢٨هـ (١٢٣٠م) • ولم يبلغنا متى انقطعت الدراسة فيها • وجل

ما وصلنا عنها خبران يتعلقان بدار الكتب التي كانت فيها • الاول : عن كتاب عنوانه « اختيارات الاوقاف الزمانية للاعمال الكلية » ^(١) ألفه « علي بن عماد الدين » لهذه المكتبة في عهد الشرايى • والثانى : ما ذكره ابن الفوطى الذى عاش الى سنة ٧٢٣هـ ، عن خازنها المعروف بابن الماوردى ، الواسطى الذى كان على صلة به •

وكان المرحوم البهائى يعقوب سر كس المتوفى سنة ١٩٦٠ يظن انها دار المسناة التى بناها الخليفة الناصر لدين الله العباسى ، واتخذها قصرا له • وقد ايدته فى ذلك زميلنا المحقق الدكتور مصطفى جواد • وقد اثبتنا فى هذا البحث الذى نضعه بين ايدي القراء والباحثين انها كانت « مدرسة » ولم تكن « قصرا » ولا « دارا » براهين علمية ، وفيه لا تدع مجالا للشك فى انها كانت احدى المدارس البغدادية فى أواخر العصر العباسى فى القرن السابع الهجرى •

وقد اجتهدنا بعد ذلك على ضوء معارفنا عن مدارس بغداد منذ سنة ٤٥٩هـ حتى سنة ٦٥٦هـ وما بعدها ان نعين اسم هذه المدرسة فاستخرجنا انها « المدرسة الشرايية » أو الشرفية « التى انشأها اقبال الشرايى واحتفل بافتتاحها سنة ٦٢٨هـ احتفالا فخما •

وقد اختلفت آراء المؤرخين الذين كتبوا عن موقع هذه المدرسة • غير أن أكثر هؤلاء المؤرخين ، يشيرون الى أنها بنيت فى « سوق السلطان » • فقد جاء فى كتاب الحوادث الجامعة المنسوب لابن الفوطى المتوفى سنة ٧٢٣هـ انها بنيت فى « سوق السلطان » وذكر ابن العماد الحنبلى المتوفى سنة ١٠٨٩هـ انها بنيت فى « سوق السلطان » أيضا • ولا بد أن نشير فى الوقت نفسه الى ان النعيمى المتوفى سنة ٩٢٧هـ وهو مؤرخ دمشقى نقل عن ابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤هـ وهو مؤرخ دمشقى أيضا وكلاهما بعيد عن بغداد - انها بنيت

(١) والكتاب من مخطوطات السيد عثمان فوزى اوجاى التركى فى استنبول عرضه للبيع على مديرية الآثار العراقية العامة • وقد ذكر لى الاستاذ كوركيس عواد أمين مكتبتها ان النسخة قديمة وفريدة ، وانها تبحت فى علم الفلك ، وفيها تصاوير وأشكال فلكية عديدة وهى مجدولة مع تزويق وتذهيب •

« سوق العجم من بغداد » • وجاء فى محل آخر من الحوادث الجامعة انها بنيت « سوق العجم بالشارع الاعظم بالقرب من عقد سور سوق السلطان مقابل درب الملاحين » •

ولئن اختلف ابن العماد الحنبلى وابن كثير فى موقع الشراية فسماء الاول منهما « سوق السلطان » وسماء الثانى « سوق العجم » فان ما ورد فى الحوادث الجامعة فى مكانين منه هو نفس الاختلاف السابق الذى يشير الى موقعها فى « سوق العجم » مرة وفى « سوق السلطان » أخرى •

ان اقدم هذه المعلومات واوثقها ما ذكره مؤرخ بغدادى ثقة هو ابن الفوطى المتوفى سنة ٧٢٣هـ الذى يحتمل جدا انه رأى هذه المدرسة بعد عودته الى بغداد سنة ٦٧٩هـ فذكرها فى كتابه « تلخيص مجمع الآداب »^(١) حين ذكر خازن كتبها مجدالدين ابا الحسن على بن أحمد بن هبة الله ، المعروف بابن الماوردى ، الواسطى ، الفقيه ، الخازن • وكان ابن الفوطى قد سمع عليه ، وكتب منه • وذكر انه « كان خازن الكتب بالمدرسة الشرفية بخان زياد »^(٢) من سوق السلطان •

ولما كانت « سوق السلطان » فيما ذكره ابن النجار قرية من دجلة ، وقرية من عقد سور « سوق السلطان » [باب المعظم] كما جاء فى الحوادث الجامعة ، فان « محلة سوق السلطان » هى « محلة الميدان » وهى التى بنى الناصر فى طرف منها « جامع سوق السلطان » أى « جامع الميدان » الذى

(١) ج ٥ ص ١٨٢ الترجمة ٣٦٧ ونصها « مجدالدين أبو الحسن على بن أحمد بن هبة الله يعرف بابن الماوردى الواسطى ، الفقيه ، الخازن ، كان فقيها فاضلا سافر فى صباه الى خراسان ، وما وراء النهر ، وسمع ببخارا من الفقيه العالم جمال الدين المعروف بكوى خردمندان ، واستوطن بغداد ، وكان خازن الكتب بالمدرسة الشرفية بخان زياد من « سوق السلطان » ، سمعت عليه ، وكتبت منه ونعم الشيخ كان » •

(٢) وقد ورد اسم « خان ابى زياد » فى أوائل القرن الرابع الهجرى فى أسفل محلة « المخرم » حيث تقع « الشراية » وذلك فى ترجمة علي بن اسحق المخرمى (الخطيب البغدادى ج ١١ ص ٣٤٩) وفى ترجمة عثمان بن عبد الله من ذرية عثمان بن عفان (ر) (الخطيب البغدادى ج ١١ ص ٢٨٣) •

يرجح ان يكون مكانه جامع « القلعة » الحالى . وفى الطرف الآخر من « محلة سوق السلطان » كانت « سوق العميد » المقابلة لجامع القلعة وعلى هذا تكون « المدرسة الشراية » التى بنيت فى « سوق السلطان » هى البناية المعروفة اليوم بـ « القصر العباسى » التى فى « قلعة بغداد » . وبابها المفضي الى دجلة ، يشرع على درب الملاحين ، وهو الطريق الذى يسلكه الملاحون لسحب زوارقهم ، وسفنهم ، مصعدين فى دجلة عكس مجرى الماء (١) .

ومما يرجح الرأى الذى ذهبنا اليه ، أن أحدا من المؤرخين لم يذكر أن « الشراية » بنيت ظاهر سور بغداد ، كما هى عادة المؤرخين عند ذكر الاماكن المهمة التى تقع خارج المدينة ، أو ظاهر البلد ، أو وراء السور الخ .

اننا نستبعد ألا يذكر المؤرخون عمارة كعمارة المدرسة الشراية اذا كانت تقع خارج السور فى أثناء الاستعداد للحرب ببغداد سنة ٦٣٤هـ عندما حاصر المغول اربل ، ونصبت المناجيق على سور بغداد . وعندما أصلح خندقها ، وأمر المدرسون ، والفقهاء ، ومشايخ الربط ، والصوفية ، برمي النشاب والاستعداد للجهاد (٢) . وألا يشيروا اليها فى أثناء خروج الامراء ، والعساكر الى ظاهر البلد سنة ٦٣٥هـ عندما انبت عساكر المغول فى أعمال بغداد ، وعاثوا بها أشد العيث . وكان الشرايى هو الذى تصدى للمغول يومئذ (٣) . مما يدل على انها كانت داخل سور بغداد الشرقية وليس خارجه كما ذهب الى ذلك الدكتور مصطفى جواد فى الخارطة التى رسمها لكتاب « الجامع المختصر » لابن الساعى .

لقد وضعنا هذه الرسالة بعدد من المخططات ، والصور التى تثبت ما ذهبنا اليه من آراء . وفى المخطط الثانى ثبتنا موقع « القصر العباسى »

(١) لاحظ المخطط المرقم (٢) .

(٢) الحوادث الجامعة ص ٩٨ - ٩٩ .

(٣) الحوادث الجامعة ص ١٠٩ - ١١٠ .

بالنسبة لجامع « القلعة » و « سوق الميدان » و « باب المعظم » التي هي على التوالي : « جامع سوق السلطان » و « سوق السلطان » و « باب السلطان » أو « باب سوق السلطان » . وقد استعنا بخرائط الطابو القديمة وخرائط أمانة العاصمة لبغداد الحالية لتوضيح هذه المواقع . وقد تبين لنا من دراسة موقع الشراية وما جاورها من الأماكن ان « سوق السلطان » وهي « محلة الميدان » لا تبعد عن المدرسة أكثر من ١٥٠ مترا كما انها لا تبعد عن باب « سوق السلطان » أي « باب المعظم الحالي » أكثر من ٣٠٠ متر . وظهرت « المدرسة الشراية » في مخطط القلعة بجوار « جامع القلعة » الذي كان بمحله « جامع سوق السلطان » المذكور آنفا .

واجتهدنا ان نظهر في المخططات ، والتصاویر الاخرى أوجه الشبه بين بناية « القصر العباسي » وبين مدرستين معروفتين لا تزالان قائمتين ببغداد وهما : « المستنصرية » و « المرجانية » وقد ثبت لنا ان الشبه بين هذه المباني الثلاثة يكاد يكون تاما في المداخل ، وطراز الاواوين ، والاروقة ، والدهاليز ، والرداه الكبرى وبيوت الطلبة . والافنية والصحون ، والرحاب ، والمساجد ، والعقود ، والاقواس ، والكوى ، وطراز التسقيف وحتى في تفاصيل الزخرفة الآجرية في الجدران ، والسقوف ، والابواب ، مما يبرهن على ان المدارس كانت تتبع طرازا خاصا في التخطيط ، وقواعد معينة في البناء والزخرفة . ولايات هذه الآراء بصورة عملية ثبتنا في هذه الرسالة مقاطع أفقية للابواب الثلاثة في المدارس الثلاث المذكورة ، وهي تتشابه تشابها تاما في طرازها ، وزخارفها ، ومقرعاتها ، واعمدتها المزخرفة والعاطلة عن الزخرفة ، وكتاباتها ، وحتى في سعتها ، وارتفاعاتها تقريبا . وقد رأينا ان تصور كلاً من دهليزى الشراية ، والمستنصرية اللذين يبدوان متشابهين تشابها تاما . والمساجد الثلاثة تتشابه أيضا في اسسها ، وفتحات أقواسها ، ولا تختلف الا في حجومها . وذلك لاختلاف عدد أرباب كل وقف من هذه الوقوف الثلاثة ، الذين كانوا يؤدون فيها فريضة الصلاة . اما سعة الردهاء ، وبيوت الطلبة فهي متقاربة جدا ، ولا تختلف الا في عددها ، حيث كان عدد الطلاب - كما ذكرنا -

يختلف في كل مدرسة من هذه المدارس لاختلاف شرط الواقف .
وقد اعتمدت في تجهيز هذه الرسالة بالصور ، والمخططات ،
والكلايش على كتابي « تاريخ علماء المستنصرية » وعلى مديرية الآثار
العامة وعلى مهندسها الاستاذ السيد محمود العينهجي الذي اشكر له
مساعداته القيمة شكرا جزيلًا . والله ولي التوفيق .

المؤلف

ناجي معروف

كلية الآداب - جامعة بغداد

الاعظمية : شوال سنة ١٣٨٠هـ

نيسان سنة ١٩٦١م .

المدرسة الشرايية

أو

« القصر العباسي » في قلعة بغداد

الفصل الاول

براهين فنية تثبت أن « القصر العباسي »

مدروسة عباسية ، وليس قصراً ، ولا داراً

لم يعرف على وجه التحقيق ، الغرض الذي شيدت من أجله العمارة المعروفة اليوم بـ « القصر العباسي » في قلعة وزارة الدفاع ببغداد • وكل ما ثبت للباحثين أن « القصر العباسي » المذكور بناية عباسية ، تدل آثارها الباقية على فخامتها ، وجمالها ، وروعة هندستها ، وزخرفتها • ولم يعرف من أنشأها ، ولا التاريخ الذي أنشئت فيه • لأنه لم يتسن للعلماء ، والباحثين الوقوف على التفاصيل الضرورية التي تمكنهم من معرفة حقيقتها ، وماهيتها لدور المراجع التاريخية عن بغداد في العصور المتأخرة •

وسنحاول في هذا البحث ان نثبت بصورة قطعية ، انها كانت احدى مدارس بغداد في أواخر الدولة العباسية • وأنها ليست قصراً من قصورها ، ولا داراً من دورها • أما اسمها واسم بانيها فاننا نسترجع أن تكون « المدرسة الشرايية » التي أنشأها « أقبال الشرايى » احد كبار رجال المستنصر بالله العباسي • لكننا سوف لا نبت في هذا الرأي ، ولا نقطع به • وسنترك للباحثين البحث فيه ، حين يتوافر عندهم ما يساعدهم على معرفة ذلك •

ان هذه البناية تقع في الزاوية الجنوبية الشرقية من قلعة وزارة

الدفاع الحالية ، يفصل بينها وبين بناية وزارة الدفاع الحديثة جامع القلعة الذى تشير وقفته المؤرخة فى سنة ١٠٤٨هـ (١٦٤٨م) الى انه كان يقع فى محلة السكة خانة^(١) والذى يرجح انه جامع سوق السلطان الذى بناه الناصر لدين الله العباسى كما سنذكره فى حينه .

وقد مرت هذه العمارة بأدوار مختلفة منذ أواخر أيام العباسيين حتى اليوم . ومما لاشك فيه أنها اتخذت معهدا علميا للتدريس ، ودار علم للكتب ، رَدَحًا من الزمن ، وتقلبت بها الاحوال فى أيام المغول ، والتركمان ، ومن جاء بعدهم . ثم اتخذت فى العهد العثمانى لاغراض عسكرية ، وبذلك نسي الناس ما كانت عليه هذه البناية ، لاسيما وان الدخول الى « القلعة » المذكورة لم يكن سهلاً يومئذ باعتبارها مركزا عسكريا . وقد شيد العثمانيون بلصقها برجا كبيرا ولعل ذلك قد تم بعد شيوع استعمال المدافع ، والآلات النارية^(٢) . كما اضيف اليه فى ذلك العهد أيضا مخازن ، وغرف ، وقبب عديدة . وقد أثرت هذه الاضافات على العمارة المذكورة فشوهت معالمها الى حد بعيد . وعندما عازمت مديرية الآثار العامة على دراسة هذا الاثر التاريخى الاسلامى القيم ، عمدت الى هدم جميع الاقسام المستحدثة ، عدا البرج العسكرى نظرا لانه كان مستقلا عن هذه العمارة ، ولم يشوه أو يغير شيئا من معالمها ، ولا تخطيطها أو هندستها . وكان من جملة ما هدمته مديرية الآثار العامة ، قبة كبيرة كانت على المدخل الرئيس لهذه البناية ، مما يلى جهة النهر . وقد هدمتها مع جدرانها التى كانت ترتكز عليها . وكان من نتائج هذا الهدم ظهور هذا المدخل الرئيس مما يلى دجلة ، وبذلك انجلى جانب مهم من ذلك الغموض الذى كان يكتنف هذا الاثر التاريخى الجليل ، حيث ظهر بوضوح كيفية الدخول الى هذه البناية ، والانتقال من « المجاز » أو « المابين » كما سمته

(١) راجع كتابنا تاريخ علماء المستنصرية ص : ٥ - م .

(٢) بقايا القصر العباسى ص : ٥ .

مديرية الآثار الى القاعات الكبرى ، أو الى الرواق الذي كان يحيط بالصحن ، ثم الوصول الى الايوان ، الذي يعتبر أروع أقسام هذه البناية ، والى بقية أجزائها الاخرى .

وقد عُنيت مديرية الآثار العامة بدراستها ، وترميمها وصيانتها على عهد مديرها السابق أستاذنا العلامة ساطع الحصري سنة ١٩٣٤م . وقد تمكنت منذ ذلك الوقت ، بما بذلته من جهود مشكورة حتى اليوم ان تعيد أكثر أقسام هذه البناية الى أصلها الذي انشئت عليه أول مرة ، من حيث التخطيط ، والزخرفة . واتخذت منها متحفا للآثار العربية .

ولما لم يهتد حتى اليوم أحد من العلماء المحققين المعنيين بالآثار العربية ، الى معرفة حقيقة هذه البناية معرفة أكيدة ، فقد عزمْتُ على دراستها دراسة فنية ، ومقارنتها بالمباني الاثرية المشابهة لها في العراق ، للوصول الى نتيجة حاسمة تقرر ماهيتها وحقيقتها .

وسأستعرض الآراء المختلفة ، التي توصل اليها الباحثون قبل أن ابدأ بتفصيل رأيي الذي نشرته مجملاً قبل ١٤ سنة في مجلة التفيض .

لقد رأت مديرية الآثار القديمة في نشرتها التي نشرتها عام ١٩٣٥م تحت عنوان « بقايا القصر العباسي في قلعة بغداد » أنها كانت أحد القصور العباسية^(١) . وكان المرحوم يعقوب سركيس يرى انها « دار المسناة » التي بناها الناصر لدين الله العباسي . وقد ذكر انه كان « أول من أبان ان اسم هذا البناء هو دار المسناة » في مقال كتبه قبل ثلاثين سنة في مجلة لفة العرب^(٢) . وقد ذهب هذا المذهب زميلنا الدكتور مصطفى جواد ونشر عنها بحوثاً ضافية كما سبق للاستاذ المهندس « هنري فيوليه » الفرنسي الذي استقدمه ناظم باشا والي بغداد سنة ١٩١٠م لتجميل بغداد وتنظيم هندستها ان اشار في بحثه عن الرياضة الاسلامية الى زخارف « القصر العباسي » فظن

(١) بقايا القصر العباسي ص : ١ .

(٢) راجع مباحث عراقية - القسم الثاني ص ١ .

انها من الجبس وهو الكلس « Stuc » ^(١) . وقد اثبت له عندما زرته بباريس سنة ١٩٣٨م ان في « القصر العباسي » وفي المدرستين : المستصرية والمرجانية زخارف كلها من الآجر ، وهي محفورة بعناية بالغة ، ومنقوشة بنقوش زهرية أو هندسية بديعة . وذكرت له انها غير مصبوبة في قوالب ، بل رسمت على الآجر المطبوخ أو المفخور بالنار ، ثم حفرت بعد ذلك ، وزينت بها جهات العماير ، وسقفوها . وقد ذكر هذه البناية استاذنا لويس ماسينيون المستشرق الفرنسي ^(٢) . ونشر الجنرال دي بيليه De Beylié صورتين للايوان صورهما له المسيو فيوليه المذكور . وفي سنة ١٩٤٠ ناقشت المرحوم يوسف غنيمه مدير الآثار القديمة يومئذ وبعض موظفي مديرية الآثار مبنياً لهم ان البناية الموصوفة ان هي الا مدرسة وليست قصراً ولا داراً . واسترجت آنذاك ان تكون « المدرسة الشراية » أو « الشرفية » التي اسسها شرف الدين اقبال الشراي في خلافة المستنصر . وقد مالوا الى الاخذ بهذا الرأي . وأشاروا الى ذلك في دليل ^(٣) « بناية المتحف الاسلامي أو القصر العباسي » . وعندما نشر الدكتور مصطفى جواد بحثه المفصل الذي أكد فيه ان « القصر العباسي » هو دار المسناة ^(٤) كتبت على أثر ذلك بحثاً مفصلاً ، اثبت فيه ان « القصر العباسي » مدرسة عباسية ، وليس قصراً عباسياً ، ولا دار المسناة الناصرية . وأيدت هذا الرأي الجديد بالبراهين الفنية ، والادلة التاريخية . وعرضته على أستاذنا الدكتور ناجي الاصيل مدير الآثار العام اذ ذاك لنشره في مجلة سومر ، فرحب بالبحث اشد الترحيب وأوعز بنشره غير أن البحث مع ذلك كله لم ينشر في المجلة المذكورة . ولذلك آثرت نشر خلاصته في

(١) L'architecture Musulmane du XIIIe Siècle en Irak. paris 1913.

(2) Mission en mesopotamie 1907-1908. m. Louis massignon VII. P:84.

(٣) راجع النشرة المذكورة ص : ١ ، المطبوعة سنة ١٩٤٣م .

(٤) مجلة سومر ج : ٢ من السنة الاولى ص : ٦١ - ١٠٥ .

مجلة التفيض التي كنت اشرف على تحريرها^(١) . وقد ختمت ذلك البحث العلمى بقولى : « وبعد فهذا بحث موجز قائم على أساس من التاريخ والفن ، توخيت فيه معرفة حقيقة البناية العباسية التي فى القلعة . وقد توصلت فيه الى رأي فى هذه البناية المهمة اعرضه فى جملة الآراء التي عرضت حتى الآن للأخذ به ، أو رده ، أو مناقشته جأ فى الوصول الى معرفة حقيقة هذه العمارة » .

ولقد أجريت كثيرا من المناقشات مع المعنيين بمثل هذه الامور ، وبخاصة مع كبار موظفى مديرية الآثار العامة الذين كنت قد زاملتهم رَدَحاً من الزمن فى المديرية المذكورة ، وفى أثناء التنقيبات التي اجريناها فى سامراء ، وواسط بين سنتي ١٩٣٩م و ١٩٤١م . وقد وجدتهم جميعا مقتنعين برأىي هذا وبوجهة نظري فى ان هذه البناية كانت مدرسة عباسية ، ولم يخامرهم شك فى ذلك . وقد اخبرنى السيد ناصر النقشبندى مدير المسكوكات والابحاث الاسلامية فى مديرية الآثار العامة انه نشر بحثا فى مجلة « أهل النفط » بعد بحثى المذكور آنفا بأكثر من عشر سنوات^(٢) أشار فيه أيضا الى أن هذه البناية « مدرسة » كما اشرت أنا الى ذلك . وفى سنة ١٩٤٨م نشر الاستاذ يعقوب سر كيس كتابه « مباحث عراقية » وكان أول بحث فيه : « القصر العباسى ، دار المسناة » الذى كان منشورا فى جريدة البلاد فى ١١ أيلول سنة ١٩٣٥م . وقد اشار فى الحاشية الى بحثى الذى نشرته فى مجلة التفيض والى وجهة نظرى فى هذه البناية من أنها مدرسة ، وليست قصرا ولا دارا . ثم قال عن نفسه وبحثه عن القصر العباسى : ان الدكتور مصطفى جواد « يعترف بأن هذا الكشف لى » وقال أيضا « وكان الدكتور قد ايدنى عدة مرار قبل كتابته فى سومر » .

ان التحليلات الفنية والتاريخية التي ذكرتها فى مجلة التفيض آنفة الذكر لم تدع مجالا للشك ، فى ان هذه البناية كانت مدرسة

(١) راجع العددين ٢٣ و ٢٧ من السنة ١٩٤٦م .

(٢) راجع مجلة أهل النفط العدد (٧١) من سنة ١٩٥٧ ص ٣٦ .

عباسية ، ولم ينكر أحد من الناس دعواي هذه • وأود اليوم ان أزيد على ما ذكرته قبلا أمورا عدة كلها تثبت أن هذا « القصر العباسي » مدرسة عباسية وليس قصرا عباسيا كما ظنت مديرية الآثار العامة ، ولا دار المسناة الناصرية كما ذهب الى ذلك المرحوم الاستاذ يعقوب سركيس وأيده الدكتور مصطفى جواد • وسوف لا أكرر ما ذكرته في مجلة التفيض من الملاحظات العديدة على بحث الدكتور مصطفى جواد الذي نشره في مجلة سومر ، والذي بذل فيه جهده وافرغ فيه وسعه ليثبت الدعوى التي ادعاها المرحوم يعقوب سركيس ، وهي أن القصر العباسي هو دار المسناة التي بناها الناصر لدين الله ، لأنني فندت ذلك تفصيلاً لا يترك مجالاً للشك في أن هذه البناية ليست قصرا ولا دارا وإنما هي مدرسة عباسية^(١) •

انا اذا استطعنا أن نقض الآراء القائلة بأن هذه البناية كانت « قصرا : أو دار المسناة الناصرية » بالادلة الفنية وأخرجناها من عداد القصور والدور ، وجب علينا ان نبحث في ما يمكن ان تكون • ولاشك عندنا في انها كانت احدى مدارس بغداد الكبرى • ويتضح ذلك جلياً من اوجه الشبه بينها وبين مدرستين اخريين هما : المستنصرية ، والمرجانية اللتان تملك عنهما معلومات مفصلة ، تساعدنا الى حد بعيد على اثبات ما ذهبنا اليه ، باعتبار ان المرجانية ، بنيت على غرار النظامية ، وان المستنصرية بنيت لتنافس النظامية ، وان الشبه بين المستنصرية ، وبين بناية « القصر العباسي » قوى جدا مما يدل على ان هذه البناية مدرسة كالمستنصرية والمرجانية • ولذلك نذكر ان هذه المقارنة الفنية بينها وبين المدرستين المذكورتين ، ينبغي ان تكون في

(١) مجلة التفيض ج ٢٣ ص ١١ - ١٧ و ج ٢٧ ص ٨١ - ٨٦ •
وراجع الحوادث الجامعة ص : ١١١ ، ١٣٢ ، ١٨٦ •

التشابه القوي فى الامور التالية :

- ١- فى المخططات • ٢- فى الابواب والمداخل • ٣- فى الساحات والصحون • ٤- فى الاواوين • ٥- فى المجازات والدهاليز والاروقة •
- ٦- فى القاعات الكبرى • ٧- فى القاعات التى زخرفت رتاجاتها •
- ٨- فى حجوم الحجر والغرف • ٩- فى الزخارف الآجرية • ١٠- فى المساجد التى فى الضلع القبلى فى كل من هذه المباني الثلاثة • ١١- فى طراز التسقيف وطراز الرياسة •

لقد ثبت لمديرية الآثار العامة ، مما قامت به من التحريات فى أثناء التنقيب عن الاسس التى اندثرت من هذه البناية ، ان الاسس أصلية لم يظهر فيها أى أثر يدل على النقض • فأجر الاسس والجدران القائمة كلها من نوع واحد ، وحجم واحد ، ولم يظهر ما يدل على اضافة اسس أخرى • كما أنه ليس ثمة أسس ، أو جدران تتعارض مع الاسس القديمة ، كالذى وجدناه واضحا فى جامع الحجاج بواسطة ، حيث انشئت ثلاثة جوامع فوق جامع الحجاج ، وفى غيره من المباني التى كانت عرضة للنقض ، والبناء ، والتجديد ، والترميم • وفى هذا دلالة كافية على أنه لم يحدث عليها أى بناء آخر ، مما لا يخامرنا شك فى ان هذا المكان ليس « دار تتر »^(١) التى نقضها الخليفة المقتفى لأمر الله العباسى سنة ٥٤٧هـ (١١٥٢م) ، والتى اثنأ عليها الناصر لدين الله « دار المسناة » كما يذهب الى ذلك الزميل الدكتور « مصطفى جواد »^(٢) وبعبارة أخرى ليست هذه العمارة « دار المسناة » التى انشأها الناصر لدين الله العباسى •

(١) هو احد امراء السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه السلجوقى •

(٢) مجلة سومر • الجزء الثانى من السنة الاولى ص ٦١ - ١٠٥ •

ان عدد الحجرات ، والغرف فى الضلع الشرقية من هذه العمارة يبلغ ١٦ غرفة • ويحتمل انه كان يقابلها ١٨ غرفة ، فى طابقي الضلع الغربية كما هو واضح فى المخطط المرقم (١) • وقد نتج هذا التباين فى عدد غرف هتين الضلعين المتناظرين بسبب اتخاذ طرفي الضلع الشرقية مجازين يتصلان بالرواق ، والدهليز • وليس الامر كذلك فى الضلع الغربية • وفى هذه البناية غرف صغيرة أخرى غير التى ذكرناها ، ولذلك يمكن ان يبلغ مجموع ما فى هذه البناية من حجر وغرف ، الاربعين ، ما عدا القاعات الكبرى ، والمنشآت الاخرى •

ان عرض الحجر والغرف بوجه عام لا يتجاوز ٣٢ سم ٢ متر (مترين واثنين وثلاثين سنتيمترا) وان طولها ٨٠ سم ٣ متر (ثلاثة أمتار وثمانون سنتمترا • واكثرها خال من الكوى ، والمشاكي • ولذلك يمكن أن تتساءل عن الاغراض التى انشئت من اجلها هذه الحجر ، والغرف التى تطل على ساحة واحدة ، أو محن واحد ، وعلى أروقة مزخرفة ، هل كانت تتخذ لسكنى الخليفة ونسائه ؟ أو أن نساء الخليفة وجواريه كن يستقبلن سيدهن الخليفة فى هذه الغرف الضيقة ، البسيطة ، الخالية من كوى الاضاءة ، والتهوية ، أم أن الغرف الكبيرة التى كان يسكن فيها الخليفة الناصر لدين الله ، ونسأؤه ، وحاشيته ، وأهل بيته قد نقضت ، وبني مكانها هذه الغرف الصغيرة • وللوصول الى الجواب الصحيح ينبغي علينا ان نبحت فى أمرين اثنين اولهما : هل هذه الغرف اصلية أم محدثة ؟ وثانيهما : هل يوجد مثل هذه الغرف فى قصور الخلفاء فى بغداد ، وسامراء ، اتخذت مساكن للخلفاء ، ونسائهم وجواريهم ، أم لا ؟

ان التحريات ، والتنقيبات التى اجرتها مديرية الآثار فى هذه البناية ، تدل على أن الغرف الصغيرة فى الطبقتين العليا ، والسفلى ، والايوان ،

والجنازات ، والاروقة ، والدهاليز ، والقاعات الكبرى ، والمدخل ، والزخرفة على اختلافها هي من المباني الاصلية كما اسلفنا ، بنيت حين وضعت تصاميم هذه البناية ، وليست من المباني التي استحدثت بعد ذلك لاتصال الزخرفة ، وتناسق الدعائم ، والجدران ، وانسجام بقية المرافق الاخرى • ويهمننا في بحثنا هذا ان نثبت للقارىء ان الغرف الصغيرة المذكورة بنيت في اول الامر بهذا الحجم الصغير كغرف المستنصرية ، والمرجانية • واذا كانت غرف المستنصرية التي تكبرها شيئاً قليلاً قد اتخذت بيوتاً للطلاب فمن الاولى والاقترب الى الواقع ان تكون غرف « القصر العباسي » بيوتاً للطلاب أيضاً • ولا بد ان نقرر أيضاً ان هذه الغرف الصغيرة تختلف اختلافاً كبيراً عن تلك الغرف الواسعة التي وجدناها في أثناء التنقيب في سامراء ، تلك الغرف المبلطة بالآجر المزجج ، أو القاشاني المعرق ، المؤزرة بالرخام المقوف ، المطعمة جدرانها بالفسيفساء ، الموهة سقوفها بماء الذهب ، المحلاة بشبابيك الزجاج ذي الالوان المختلفة ، المزينة بالمشاكي الجميلة من الجبس أو الجص •

اين هذه البناية المظنون انها قصر أو دار المسناة الناصرية ، من المباني الواسعة ، والقصور الفخمة في سامراء وواسط ، وبغداد • ان التنقيبات التي أجريناها في سامراء سنة ١٩٤١م في الموسم الخامس في دور العامة ، ودور القواد ، ودار الخلافة ، وقصور الخلفاء ، وابنائهم وامرائهم قد دلت على وجود حجر ، وغرف أوسع بكثير من الحجر والغرف التي اشتملت عليها البناية المدعوة خطأ بـ « القصر العباسي » بل اننا لم نجد تقريباً بين الغرف في دور السكنى على كثرتها غرفة واحدة عرضها كعرض هذه الغرف سواء كان ذلك في دار الخلافة في سامراء أو بيت « الامام » الواقع بلصق الضلع الجنوبية لجامع المتوكل المعروف بجامع « ابي دلف » اليوم ، أو في قصر « الحويصلات » • ولا في الاقسام التي بنيت على الطراز الحيري ذي الصدر

والكُمَيْن^(١) في كثير من دور السكنى فى سامراء • ولا فى دور القواد والامراء التى بنيت على جانبي الشارع الاعظم الذى كان عرضه مئة متر ، فالغرف فيها مزخرفة وواسعة كأنها القاعات الفسيحة • وقد وجدنا فى أثناء التنقيت فى احد دور الشارع الاعظم بهواً فخماً يتكون من ٥ حجرات × ٥ حجرات أكثرها مزخرف ، تفتح على بعضها ، وتكون منظراً خلاباً • اما فى بيت الخليفة ، وقصر المعتز الذى يسميه أهل سامراء (المنقور) ، والمعشوق ، والجعفرى ، والقصور الأخرى فالغرف فيها عديدة جداً وواسعة جداً ، ومزخرفة بأنواع الزخارف الرخامية ، أو الجصية أو الجبسية وبالفسيفساء ، والآجر المزجج • هذا فى سامراء قبل رجوع الخلفاء الى بغداد • ولا نشك مطلقاً فى ان غرف القصور البغدادية ، كقصر الذهب أبواب الذهب ، والخلد ، والقرار ، وقصور البرامكة ، والتاج ، والفردوس ، والثريا ، والحسنى ، والدار المعزية ، ودار المسناة كانت أعظم بهاء ، وسعة من تلك الغرف • فالأخبار متواترة ومتظافرة عن سعة هذه القصور ، وجمال مشتملاتها •

ويكفى للدلالة على ذلك ان نذكر ان طول سور « المنقور » وهو الذى بناه المتوكل لابنه المعتز يبلغ ١٢٠٠ متر ، ومساحته تزيد على ثلاثة أضعاف مدينة سامراء الحالية • واطلال قصر المتوكل المعروف بالجعفرى كأنها مدينة قائمة بذاتها • وبيت الخليفة أو دار الخلافة تبلغ مساحتها نحو ٨٠٠ × ٩٠٠

(١) الحيرى • نسبة الى الحيرة • قال المسعودى : (وأحدث المتوكل فى أيامه بناءً لم يكن الناس يعرفونه وهو المعروف بالحيرى والسكمين والاروقة وذلك ان بعض سماره حدثه فى بعض الليالى ان بعض ملوك الحيرة من النعمانية من بنى نصر احدث بنيانا فى دار قراره وهى الحيرة على صورة الحرب ، وهياتها للهجته بها ، وميله نحوها لثلا يغيب عنه ذكرها فى سائر أحواله ، فكان الرواق مجلس الملك وهو الصدر ، والسكان ميمنة وميسرة • ويكون فى البيتين اللذين هما السكان من يقرب منه من خواصه • وفى اليمين منهما خزانة الكسوة ، وفى الشمال ما احتيج اليه من الشراب • والرواق قد عم فضاؤه الصدر ، والسكمين ، والابواب الثلاثة على الرواق • فسمى هذا البنيان الى هذا الوقت بالحيرى والسكمين اضافة الى الحيرة • واتبع الناس المتوكل فى ذلك ائتماماً بفضله ، واشتهر الى هذه الغاية •)

متر • وطول بناية المعشوق الداخلية ١٣١ مترا وعرضها ٩٦ مترا • وبين هذه البناية وسورها الخارج مبانٍ فرعية عديدة^(١) • اما في بغداد فقد روى ياقوت الحموي ان قصر عيسى بن علي عم المنصور بالجانب الغربي كان يسكنه أربعة آلاف نفس^(٢) • وسمي قصر المنصور بالخلد تشبيهاً له بجنة الخلد لما يحويه من كل منظر رائع^(٣) • واما الثريا قصر المعتضد بالله فكان نهر موسى الآخذ من نهر (بِيسَن) يدخله ، ويدور فيه ، ويخرج منه • وأما نهر الملى فكان يدخل قصر الخلافة المسمى بالفردوس فيدور فيه ، ويصب في دجلة • وكان نهر آخر يدخل القصر الحسنى ، ويدور فيه ، ويصب في دجلة • وكان نهر المهدي يصب في بركة في جوف قصر الرصافة^(٤) •

فأين اذن هذا البناء الصغير ، وغرفته الضيقة من هذه القصور العظيمة ؟ ولأى الامور كانت تستخدم هذه الغرف الصغيرة العديدة الموجودة في ما يسمى بـ « القصر العباسى » اليوم ؟ • وللإجابة على هذا السؤال ينبغي ان نقارن بين هذه البناية وبين المستنصرية والمرجانية لعلنا نظفر عندهما بالجواب الذى يكشف لنا عن حقيقتها • ان التشابه بين هذه البناية وبين المدرستين : المستنصرية ، والمرجانية قوى وشديد بحيث لا يترك مجالاً للشك في ان « القصر العباسى » كان مدرسة عباسية • واليك اوجه الشبه في الامور التالية :

١ - مخطط « القصر العباسى » ومقارنته بمخطط المستنصرية والمرجانية • ان هذا المخطط قريب الشبه جدا بمخطط مدرستين معروفتين هما : المستنصرية والمرجانية • ففي الضلع القبلى في كل من هذه العمارات الثلاث : أ - مسجد أو جامع • وقبالة الجامع ايوان فخم في كل من « القصر العباسى » والمرجانية • اما جامع المستنصرية فيقابل ايوان المدخل الفخم ، الرفيع ، المزخرف • ب - في البنايات الثلاث حجرات وغرف عديدة في

(١) سامراء - نشرة مديرية الآثار سنة ١٩٤٠ •

(٢) معجم البلدان ٨٤ ص ١١٨ •

(٣) الخطيب البغدادي ١ : ٧٥ •

(٤) الخطيب البغدادي ١ : ١١٤ - ١١٥ •

الطابقين هذا الضلع القبلي حيث المسجد أو الجامع • ج - فى البنايات
الثلاث سلالم فى الطابقين يصعد بها من الصحن الى الطابق الثانى والى أعلى
السطح يظهر منها أربعة سلالم فى المرجانية وستة فى المستنصرية واثنان
فى « القصر العباسى » تبدو آثارهما فى الغرفتين الواقعتين على طرفى الايوان •
ولا شك فى أنه كانت فيه سلالم أخرى مما يلي الجامع أو فى أمكنة أخرى
غيرها •

٢ - الابواب والمداخل :

ان الباب الرئيس فى المستنصرية مدخل رفيع مزخرف أعلاه
وجانباه من الخارج بزخارف رائعة ، وكانت عليه كتابة آجرية بالخط
النسخى ، محشاة بزخارف آجرية فى منتهى الذوق • والباب يفضى الى مجاز
معقود عال ، مزخرف ، على هيئة الاواوين الكبرى • وفى المرجانية باب
عال أيضا فوقه كتابة ، مزخرفة ، كما زخرف أعلاه ، وجانباه أيضا ، وجهته
المطلّة على الصحن • والباب يفضى الى مجاز معقود يتصل بمشتملات
المدرسة الاخرى •

وفى « القصر العباسى » باب درست معالم الزخرفة والكتابة التى
يحتمل أنها كانت على جبهته • وهو يفضى الى مجاز أنيق ، مزخرف سقفه
وجدرانه بزخارف آجرية جميلة للغاية • وفيه دكات يظهر انها كانت
للبوابين والفراشين ولذلك فان هذا المدخل أخرى ان يكون مدخل مدرسة
من ان يكون مدخل قصر أو دار • وهذا المدخل يتصل بالمسجد ،
والصحن ، والدھليز ، والرواق •

ان هذه الابواب الثلاثة فى هذه المدارس الثلاث تتشابه من جميع
الوجوه الا فى أمر واحد هو ان فى باب المدرسة المرجانية اليوم مثذنة قائمة فى
الركن الايسر منه • وليس الامر كذلك فى المستنصرية و « القصر
العباسى » وينبغى ان يلاحظ ان هذه المثذنة مستحدثة ويحتمل ان سليمان
باشا والى بغداد بناها فى سنة ١٢٠٠هـ حينما وسع المصلى وجعل من
المدرسة جامعا •

ويظهر ان المعمار الذى بنى بناية « القصر العباسى » كان أدق من

غيره حين جعل المجاز وما يتصل به من الاروقة والدهاليز متصلة بعضها ، لتقي الطلاب ، وأرباب هذا المعهد من المطر ، والشمس ، وليس الامر كذلك فى المستنصرية لأن مدخلها يفضى الى الصحن مباشرة ، وربما استنتجنا من ذلك ان هذه البناية قد بنيت فى أثناء بناء المستنصرية أو بعدها وليس قبلها . وأن المعمار الذى اشرف على بنائها استفاد من هذا النقص الملحوظ فى بناية المدرسة المستنصرية فعالجه فى بناية « القصر العباسى » .

٣ - الساحات أو الصحن :

وهى الافنية التى تشابه فى هذه المباني الثلاثة ، مما يدل على ان بناية « القصر العباسى » كانت مدرسة أيضا ، فالصحن فيها واحد ، وليس ثمة أى احتمال فى تعدد صحنه أو رحبته . أى انه ليس فيه صحن آخر للحرم . والاحتمال الوحيد ان يكون ذلك فى الحد الاعلى من البناية . وحيث ان الاسس والغرفتين الموجودتين فى هذه الضلع ، وبقايا الجدران الارضية ، والفوقانية لا تزال موجودة حتى هذه الايام ، وحيث ان التناظر يستلزم ان تكون هذه الضلع كالضلع الشرقية المقابلة لها ، باستثناء المجازين ، اللذين فى هذه الضلع الشرقية فاننا نستطيع ان نجزم ان هذه البناية تتكون من ساحة أو رحبة واحدة^(١) فقط يطل عليها المسجد ، والايوان المقابل له بحجره وغرفه ، كما تطل عليها الحجر ، والغرف التى فى الضلعين الشرقية والغربية . ويتصل الصحن بالاروقة والدهليز .

ان هذا الصحن يشبه تماما صحن المدرسة المرجانية ، وصحن المدرسة المستنصرية اللذين يطل على كل منهما المسجد ، والاواوين . وتتصل به الاروقة والدهاليز ، ومنه يفضى الى بيوت الطلاب .

وتختلف هذه الصحن بسعتها وشكلها ، ففى كل من « القصر العباسى » والمرجانية صحن مربع تقريبا ، والصحنان صغيرتان اذا

(١) ترى مديرية الآثار العامة فى نشرتها عن « القصر العباسى » سنة ١٩٣٥ ان القصر كان مؤلفا من عدة احواش وليس الامر كذلك لانه ليس لدينا ما يدل على هذا الامر .

قيستا بصحن المدرسة المستنصرية ، علاوة على ان المستنصرية بالنظر لسعتها وكثرة طلابها ، وتعدد أقسامها العلمية ، كان فيها فيما يظهر أكثر من صحن واحد . فمدرسة الفقه كان لها صحن كبير هو الرحبة الباقية حتى اليوم وتبلغ مساحتها « ٦٢ر٦٠ مترا × ٢٦ر٧٥ متراً » . ودار القرآن ، كان لها صحن فيه اليوم جامع الآصفية . ومما يدل على ذلك فتحة الايوان الذى فى دار القرآن . وربما كان لمبانيها الاخرى التى كانت تتجاوزها أو تصاحبها ساحة أخرى درست معالمها .

ويمكن ان نقارن بين هذه الصحنون فى هذه البنايات الثلاث . فصحن « القصر العباسى » مربع تقريبا ، طوله (٢١ر٥) واحد وعشرون مترا ونصف المتر . وعرضه (٢٠) عشرون مترا .
واما المدرسة المرجانية ، فصحنها مربع أيضا طوله نحو (٢٣) مترا ، وعرضه مثل ذلك .

٤ - الاواوين :

ويمكننا ان نعرف الايوان بأنه طاق كبير عال مدبب العقادة يشبه قاعة كبيرة . يبنى فى صدر احدى الاضلاع فى المبنى الكبرى ، كالمدارس أو دور الخلافة أو القصور . والايوان فى هذه العمارات يقابل الصدر فى الطراز الحيرى ذى الصدر والكُمَين . ويكون عادة مفتوحا على الصحن من جهته الامامية ، ويعرف فى العراق باسم « الليوان » . ومنه ايوان كسرى فى المدائن « سلمان باك اليوم » . وقد يتخذ للتدريس ، والاحتفالات . وفى المدرسة المستنصرية اليوم أواوين عظيمة منها : ايوان دار القرآن . وايوان الشافعية . وايوان الحنفية . وايوان المدخل . وعقود عديدة تمثل بعض الاواوين الصغيرة . والاواوين الكبرى فى هذه المدرسة تشبه تماما الايوان الموجود حاليا فى بناية « القصر العباسى » من حيث طراز البناء ، والسعة ، والزخرفة ، والمتانة . ومثل ذلك يقال عن ايوان المدرسة المرجانية الفخم الذى كان يتميز بوجود كتابة فيه تحيط بها الزخرفة .

ان السقف فى ايوان « القصر العباسى » بيضى الشكل ، ومزين

بزخارف تبدأ من علو ثلاثة أمتار ونصف المتر • وقد جعلت كذلك لثلاث
 تمسها الأيدي فتتلفها • والقسم المزخرف من الجدران يبرز عن أقسام الجدران
 السفلى على هيئة أفريز جميل • والقسم الامامي من الايوان مزدان بنطاق
 من الزخارف تزيد في جمال الايوان • ويلاحظ ان هذا النطاق الزخرفي
 الامامي ينزل الى ما تحت مستوى الأفريز الذي في داخل الايوان • ويتصل
 بطاقتين صغيرين يعلوان العقدتين الجانبيتين الواقعتين في طرفي الايوان • اما
 اووين المستنصرية فتشبه هذا الايوان من حيث الشكل ، والسعة ،
 والارتفاع ، وتنوع الزخرفة ، وارتفاعها عن الارض • وكانت
 الزخرفة واضحة في ايوان الحفية وضوحا تاما عندما اثبتنا في
 مقالنا الذي نشرناه في مجلة الفيض سنة ١٩٤٦م ان « القصر
 العباسي » مدرسة وليس قصرا ولا دارا • ولم تكن الزخارف يومئذ
 واضحة في ايوان الشافعية الذي يقابله ، ولا في المدخل ولذلك قلنا :
 « اما زخارف الاووين الاخرى فيظهر ان بعضها مستور تحت طبقة
 التبييض » • ولقد صدق حدسنا فقد ازيل الجص عن زخارف الايوان
 الشافعي ، وعن ايوان المدخل • وظهرت زخارف رائعة جدا لا تقل روعة
 عن زخارف ايوان « القصر العباسي » ، بل تماثلها من حيث الاتقان ،
 والتنوع • ان ايوان « القصر العباسي » واووين المستنصرية وايوان المدرسة
 المرجانية بهيئاتها وارتفاعها توازي الطبقتين وتشابه حتى في حجوماتها فسمك
 الايوان في القصر العباسي أكثر من تسعة أمتار ، وطوله ثمانية أمتار ونصف
 المتر وعرضه نحو خمسة أمتار ، وسمك الايوان في المستنصرية أكثر من
 تسعة أمتار وعرضه ستة أمتار • ومثل ذلك يقال عن ايوان المدرسة
 المرجانية •

٥ - المجازات والدهاليز :

في الضلع الشرقية لكلتا العمارتين مجازان متشابهان ،
 يفضيان الى دهليز طويل شاهق ، ذي كوى سقفية ،
 ممتد من وراء الحجرات • طوله في « القصر العباسي » ٢٦٫٧٠ مترا •
 وعرضه ١٫٢٨ • وسمكه أو ارتفاعه ٩٫٢٠ ، وطوله في المستنصرية

٣٤٦٠ • وعرضه ١٢٤٠ • وسمكه تسعة أمتار • واندهلizan متشابهان
تشابها تاما • وحيث ان المستنصرية أوسع من المدرسة التى فى « القصر
العباسى » التى نرى أنها « المدرسة الشراية » لذلك نجد فيها دهاليز أخرى
قصيرة على هذا النسق ، كالدهلiz الذى يقع خلف القاعتين الكبيرتين
الواقعتين مما يلى ربع المالكية • • الخ • (راجع صور الدهاليز) •

٦ - القاعات الكبرى :

وفى كل من هذه الدهاليز أبواب تفضى الى قاعات
كبرى عددها سبعة فى المستنصرية ، وخمسة فى « القصر
العباسى » [الشراية] وهذه القاعات متشابهة تشابها غريبا فى التخطيط ،
والارتفاع ، والحجوم تقريبا • وكذلك فى الكوى السقفية ، والمنافذ
الهوائية ، وهى « الملاقف » التى تسمى عندنا « بادكيرات » • وأرى ان
هذه القاعات كان بعضها للتدريس ولرجال الادارة ، وبعضها الآخر كان لحزن
الكتب • فان (أ) و(ب) و(ج) و(د) فى المستنصرية كانت للتدريس وكل واحدة
منها تتسع ل ٦٢ طالبا • وان (هـ) للناظر فى مصالح المستنصرية • وان (و) إما
ان تكون لجلوس المدرسين أو للموظفين التابعين للناظر كالمشرف والكتاب •
وكذلك يمكن ان يقال عن قاعات المدرسة الشراية انها بنيت لنفس الغرض الذى
استعملت من اجله القاعات الكبيرة فى المستنصرية فان ق ٥ كانت للتدريس وهى
تسع ل ٢٥ طالبا وهم الطلاب الذين كانوا فى المدرسة الشراية اذ ان مساحتها
٨٨٠ × ٢٠ ر ٤ • واما ق ٤ و ق ٣ وهما تفتحان على بعضهما ويفضى اليهما
من الدهليز ، من مدخل واحد ، فترجح انهما كانتا لخزانة الكتب • وهما
تشبهان القاعتين اللتين فى المستنصرية واللتين قلنا ان من المحتمل انهما كانتا
محل خزانة الكتب المستنصرية • وهما تفتحان على بعضهما ويدخل اليهما
من صحن المدرسة كما انهما تشبهان قاعتين اخريين فى الضلع الشرقية يدخل
اليهما من الدهليز الكبير ومن الدهليز الجانبى الصغير ، وهما تفتحان على
بعضهما أيضا • وحجم هاتين القاعتين ق ٤ يبلغ ٦٥٨ × ٥٢١ ومساحة ق ٣
تبلغ ٦٥٨ × ٢٥ ر ٤ • وارتفاع كل واحدة من هذه القاعات نحو تسعة

أمتار • واما القاعة ق ١ فترى انها غرفة الناظر فى مصالح المدرسة • ومساحتها ٤٢٠ × ٢٠٥ مترا واما القاعة ق ٢ فمن المحتمل ان تكون لجلوس المدرسين وهى أكبر قليلا من غرفة الناظر • والقاعتان ق ١ و ق ٢ تشابهان الى حد كبير مع قاعتى المدرسة المستنصرية ه ، و • لاحظ المخطط •

٧ - غرفة الناظر :

ان ق ١ أول قاعة من قاعات « القصر العباسى » فى الضلع الشرقية مزخرف رتاجها ، أى أعلى بابها بزخارف آجرية جميلة جدا كما انه يوجد فى الضلع الشرقية من المستنصرية قاعة على الدهليز الكبير تشبه القاعة المذكورة هى الوحيدة بين قاعات المستنصرية فى الضلع المذكورة مزخرف رتاجها بزخارف آجرية أيضا • مما يدل على انها كانتا تستعملان لغرض واحد • فاذا كانت تستعمل فى المستنصرية للوالى أو للناظر فى مصالحها فلا شك ان الثانية كانت تستعمل لنفس الغرض • ويلاحظ ان كلا من القاعتين المذكورتين تطل على مجاز يفضى الى صحن المدرسة •

٨ - الحجر والغرف :

فى القصر العباسى حجرات وغرف صغيرة فى الطابقين على طرفى الايوان وفى الاضلاع الاخرى ، ذكرنا ان عددها قد يناهز الاربعين • وفى المستنصرية نحو ١٠٠ من هذه الحجر والغرف عدا القاعات الكبرى ، والاواوين ، والمسجد • • • وعرض الغرف الصغيرة فى الطبقة السفلى ٤٢ سم / ٢ متر • وطولها سبعة أمتار • وعرضها فى الطبقة العليا ٤٢ سم / ٢ متر أيضا • وطولها ٣٢ سم ٥ متر • وتقع هذه الغرف على جوانب الاواوين المذكورة فى الاضلاع الاربع • فاذا كانت غرف المستنصرية التى رأيت سعتها قد اتخذت بيوتا للطلاب فمن الاولى ان تكون غرف « القصر العباسى » بيوتا للطلاب أيضا •

٩ - الزخارف الآجرية :

ان الزخارف فى « القصر العباسى » وفى المستنصرية ، والمرجانية تتشابه الى حد بعيد فى الكمية ، والتنوعية فلقد يخيل للناظر الى هذه الزخرفة انها حقول واسعة من الوشى والتزويق يكاد لا يخلو منها مكان فى كل واحدة من هذه العمارات المهمة • ويظهر ذلك جليا بعد العثور على تلك الثروة الزخرفية فى المدرسة المرجانية التى كانت مستورة تحت طبقة من الجص منذ العهد العثمانى • كما ان الزخارف التى ظهرت فى باب المستنصرية ، وايوان المدخل والايوان الشافعى تدل على ان هذه الزخارف الآجرية تمتاز بتنوعها ووفرتها • ولقد كان يظن ان زخارف « القصر العباسى » لا مثيل لها من حيث الدقة والكثرة^(١) فلما كشف عن زخارف المستنصرية ، وزخارف المدرسة المرجانية التى كانت مستورة تحت الجص فى المصلى ثبت لنا ان هذه الزخارف من طرز ممتاز ، وانها تتشابه تشابها تاما مما يدل على ان « القصر العباسى » كان قد بنى مدرسة منذ الاساس •

لقد ظن بعض العلماء كما أسلفنا ومنهم (هنرى فوليه) الفرنسى ان هذه الزخارف مصنوعة من الكلس (Stuc) بواسطة قوالب ، غير أن العراقيين يدركون تماما خطأ هذا الظن لانهم لا يزالون يستعملون الزخارف الآجرية وبخاصة المقرنصات Stalactites فى مبانيهم الخاصة ، والعامة لاسيما فى الجوامع والمآذن •

ان زخارف هذه العمارات الثلاث سواء كانت فى السقوف ، أو الجدران أو المقرنصات التى فى الاروقة تتألف من قطع من الآجر محفورة ، ومنقوشة • وتراصفها أو غرزها فى الجدران ، والسقوف تتكون أشكال هندسية أو زهرية • كما ان بعض الزخارف تتكون من خليط من الاشكال الهندسية والزهرية فى آن واحد • وأن الزخارف الهندسية كل جزء من أجزائها مزخرف أيضا بنقوش إما هندسية ، وإما زهرية •

(١) بقايا القصر العباسى ص ٢٣ •

ويلاحظ ان أكثر الزخارف فى هذه المباني الثلاثة تتكون من قطع من
الآجر المزخرف يلتحم مع بعضه بواسطة قطع آجرية رقيقة تقع زخرفتها على
جزئها السميكة ، وليس على سطحها العريض • وقد يرى ان حافات هذه
القطع الرقيقة كثيرا ما تبرز عن سطوح القطع التى تقع بينها وبذلك تكون
الزخارف ذات نتوآت كثيرة تزيدها جمالا •

ويلاحظ أيضا ان هذه القطع الرقيقة تكون فى بعض الاماكن منحنية
السطوح تقع زخارفها على سطوحها المقعرة • ونتيجة تلاصقها وتراسفها
يتكون منها مقرنصات ، وقبب مزخرفة فى غاية الاتقان ، والجمال •

وقد يظهر للباحث فى الزخارف ان أجمل الزخارف تظهر فى مجاز
« القصر العباسى » (المابين) ورواقه ، وزواياه ، وفى الايوان • كما انها تظهر
بشكلها الرائع فى باب المستنصرية ، وحننها واواوينها • اما دار القرآن المتصلة
بالمستنصرية فى الحد الاعلى منها فقد قال ابن الساعى عنها : « لم ير مثلها
احد ، وليس لادراك وصفها أمد »^(١) • ولا عجب فان المؤرخين المسلمين
اجمعوا على ان المستنصرية لم يكن لها نظير فى العالم ، كما انه لم يبن
مثلها ، قبلها ، ولا بعدها • ويظهر ان مدارس بغداد كانت كلها تحظى بمثل
هذه العناية الفائقة من الناس • فقد قال ابن جبير يتحدث عن مدارس بغداد
وعناية القوم بأمرها : « والمدارس بها نحو الثلاثين ، وهى كلها بالشرقية وما
منها مدرسة الا ويقصر القصر البديع عنها ••• ولهذه البلاد فى فى أمر
هذه المدارس ، والمؤسسات شرف عظيم ، وفخر مخلص »^(٢) • واما الزخارف
فى المرجانية فقد ظهرت فى المصلى الذى نقل مكانه القديم الى مكان يجاوره
بغية تعديل استقامة شارع الرشيد سنة ١٩٤٨م • وكانت من الاتقان
والبداعة بحيث يمكن مقارنتها من حيث الكثرة ، والتفرع ، والدقة ،

(١) راجع كتابنا تاريخ علماء المستنصرية ص ١٨٣ - ١٨٤ •
(٢) ابن جبير طبعة اوربا ص ٢٢٩ • وطبعة المكتبة العربية ببغداد
ص ١٨٣ •

بزخارف المستنصرية ، و « القصر العباسي » مما لا يدع مجالاً للشك في ان « القصر العباسي » كان مدرسة للمستنصرية ، و كالمرجانية •

لقد ظهر التنوع والتفنن في الزخرفة في هذه المباني الثلاثة بعد أن ظل المعنيون بالآثار يرون أن زخارف « القصر العباسي » لا مثيل لها في بغداد ، لان التزيينات الهندسية ، والزهرية والزخارف المتكونة من امتزاج هذين النوعين ، ومن التزيينات التي تحاكي السجاد ، والمقرنصات التي تشبه الاخشاب المحفورة ، النحل ، أو الاحجار المنقورة ، والنقوش التي تشبه الاخشاب المحفورة ، كلها تتنوع من ناحية الى أخرى • وفي الناحية الواحدة تنوع من بقعة الى أخرى بصورة عجيبية ، محيرة • كل ذلك حدا بمديرية الآثار ان تعتقد ان هذه الزخارف قد اكسبت هذا « القصر » ! مكانة فنية خاصة فقالت عنه : « غير أنه لا يوجد قصر أو معبد بلغت فيه الزخرفة بواسطة الآجر الى هذا الحد من التنوع ، في الفروع مع البداعة في المجموع »^(١) • على اننا نرى ان هذا التنوع ، والابداع قد ظهرا في المستنصرية في الباب ، واىوان المدخل • وفي اىوان دار القرآن ، وفي اىوان الشافعية والحنفية ورتاجات الحجر والغرف كما ظهر في مصلى المرجانية بشكل لا يقل عن تلك المكانة الفنية الخاصة في « القصر العباسي » وان زخارف هذه المباني الثلاثة تمثل « الدرجة القصوى » التي وصلت اليها زخرفة الرىازة العربية في الآجر مما يدل أيضا على ان هذا « القصر » اتخذ مكانا للتدريس كالمستنصرية و كالمرجانية •

١٠ - المساجد والمصليات :

وفي القصر العباسي آثار قاعة كبيرة طولها ١٢ر٨ مترا وعرضها ٥٠ سم ٤ أمتار ويزيد ثخن اسسها على المترين تقابل الاىوان ، وتطل على الصحن • ونستطيع ان نجزم انها كانت مسجد المدرسة • حيث يصلى الطلاب ، وأرباب هذا الوقف • وهذا المصلى يشبه مصلى المستنصرية الواقع

(١) بقايا القصر العباسي ص ٢٩ •

قبالة ايوان المدخل ، ويطل على صحنها ، وقد ظهر محرابه بعد ما كان مستوراً ببعض المباني المحدثه • كما ان مصلى المدرسة المرجانية يشبه هذين المسجدين الى حد كبير • فهو بارتفاع الطابقين ويتكون سقفه من ثلاث قب • ويقابله ايوان فخم • وفيه كتابات محفورة بين شبكات من الزخرفة الآجرية الزهرية والهندسية •

١١ - طراز التسقيف :

واما طراز التسقيف فى المستنصرية و « القصر العباسى » فهو متماثل تماما بل هو واحد فى البنائين • فعقادة الايوان فى « القصر العباسى » تشبه تماما عقادة اووين المستنصرية والمرجانية • وتسقيف الدهليز والغرف الصغيرة ، والقاعات الكبرى ، والاروقة لا يختلف مطلقا عما هو فى المستنصرية يضاف الى ذلك ان جميع العقادات فى هاتين البنائين مبنية اما على الشكل المعروف باسم « الدور » وهو الذى يشبه مقطع نصف اليضة كما يظهر ذلك فى سقوف الاووين ، والمجازات فى كلتا البنائين • واما على الشكل المعروف بـ « المدنى » الذى يشبه مقطع سلة مسطحة القعر ، مقوسة الجانبين ، كما يظهر ذلك فى سقوف الغرف الصغيرة ، والقاعات الكبيرة فى هاتين البنائين •

وينبغى ان يلاحظ :

١ - ان طاق الايوان فى « القصر العباسى » يعتبر أكبر طاق معقود على الطراز الاول • والسقف قائم على جدارين تبلغ المسافة بينهما خمسة أمتار • اما طوق أو اووين المستنصرية فتعتبر أكبر الطوق المعقودة على الطراز الاول أيضا وتبلغ المسافة بين جداري الايوان ستة أمتار •

٢ - ويلاحظ أيضا ان أكبر سقوف القاعات الكبرى المعقودة على الطراز الثانى فى « القصر العباسى » يرى فى القاعة المرقمة (٤) كما يلاحظ ان السقف محمول على جدارين تبلغ المسافة بينهما ٢١ر٥ أمتار • بينما نجد ان أكبر السقوف المعقودة على الطراز نفسه فى المستنصرية فى القاعة المرقمة (ب) فالسقف فيها يعلو جدارين يبعد احدهما عن الآخر ستة أمتار •

٣ - ان عقود الابواب فى كلتا البنائين تجمع بين الطرازين الاول

والثاني المذكورين لان كل باب يتألف من طابقين ، الخارجى منها على شكل « الدور » والثانى على هيئة « المدنى » (١) .

لم يبق بعد هذا التشابه العام الذى شرحناه ، بين بناية « القصر العباسى » وبين المستنصرية الا ان نذكر الفوارق التى بينهما لنرى انها فوارق لا تستحق الذكر ولا تكون برهاناً على خلاف ما فصلناه من أمر « القصر العباسى » وكونه مدرسة من المدارس العباسية . ويمكن ان نجمل هذه الفوارق فيما يأتى :

أ - فى المساحة . فان المستنصرية كانت أكبر من « القصر العباسى » لانها كانت تضم ٢٤٨ طالباً فى مدرسة الفقه ، و ٣٠ طالباً فى دار القرآن و ١٠ طلاب فى دار الحديث ، و ١٠ فى مدرسة الطب . . . الخ واذا كان « القصر العباسى » هو المدرسة الشراعية فانها كانت تضم (٢٥) طالباً فقط . وهذه البناية تكفى لمثل هذا العدد .

ب - فى الرواق . فان رواق المدرسة الشراعية أى بناية « القصر العباسى » رواق مزخرف وهو يتكون من طبقتين ويقع أمام الحجر الصغيرة ، بينها وبين الصحن . اما فى المستنصرية فلا يوجد رواق فى الطابق الاسفل منها بل تفضى الغرف الى الصحن مباشرة . اما فى الطابق الاعلى فثمة رواق امام الغرف فى كل ربع من ارباع المستنصرية الاربعة منه يدخل اليها ومنه يطل على الصحن . وهو فى هذه الحالة يشبه تماماً رواق « القصر العباسى » أيضاً .

مما تقدم يمكننا ان نستنتج ان بناية « القصر العباسى » تشبه الى حد كبير بناية المستنصرية ، وبناية المدرسة المرجانية أى ان « القصر العباسى » اشبه ان يكون مدرسة من أن يكون داراً أو قصرأ فهو يشبه المستنصرية والمرجانية فى الشكل العام ، والتخطيط ، وحجم الغرف ، والمنجارات

(١) بقايا القصر العباسى ٢١ - ٢٣ .

والدهاليز ، والقاعات الكبرى ، والاروقة ، والسقوف ، والكوى ،
والزخارف ، والمساجد ، والاواوين ، ومواقع السلام •• الخ فالقصر العباسى
والحالة هذه لا يمكن ان يكون قصرا ولا دارا بل لا يمكن الا ان يكون
مدرسة • وايوانه كان محلا للتدريس فى غير فصل الشتاء على مذهب
واحد • واما فى المستنصرية فكان التدريس على المذاهب الاربعة لان
المستنصرية أول مدرسة فى العالم الاسلامى جمعت فيها المذاهب الاربعة
بصورة رسمية •

و « القصر العباسى » بناء على ما تقدم ذكره لا يمكن ان يكون دار
سكنى للخليفة ، أو لنسائه ، وجواريه ، أو لغيره من الامراء ، والقواد •
واحرى به بعد التفاصيل والشروح التى سردناها والمقارنة بينه وبين مدرستين
معروفتين ان يكون هو أيضا مدرسة عامرة بالفقهاء ، وان غرفه الضيقة التى
هى أصغر من غرف المستنصرية لا تصلح الا لسكنى الطلبة على غرار ما كانت
عليه الحال فى حجر المستنصرية وغرفها ، وفى حجر المرجانية وغرفها •

الفصل الثانى

١ - موقع المدرسة الشراعية

وبعد أن اثبتنا بالأدلة الفنية ، والتاريخية أن بناية « القصر العباسى »
لا يمكن الا ان تكون مدرسة عباسية ، فانه يلزمنا أن نبذل جهدا آخر ،
لمعرفة موقع هذه المدرسة ، ومعرفة منشئها •

لقد ظهر لنا فى بحثنا عن مدارس بغداد القديمة^(١) ان فى البقعة
المحصورة بين باب المعظم ، ومحلة الميدان الحالية ، وبين نهر دجلة ، والتى
كان يقع فيها « باب سوق السلطان » وهو « باب المعظم » وسوق العميد ،
وسوق العجم أربعة من كبريات المدارس التى انشئت فى العصرين : العباسى ،
والمغولى • وهى : المدرسة النجيبية ، والعلائية ، والزيركية ، والشراعية

(١) مدارس العراق فى عشرة قرون - وهو معد للطبع •

فأما النجيبية فهي المنسوبة الى الشيخ ضياء الدين ابى النجيب عبدالقادر السهروردي المتوفى سنة ٥٦٣هـ ولا يزال ضريحه قائما فيها • والمدرسة لا تزال قائمة حتى اليوم^(١) الى جانب المدرسة السليمانية وجامع النعمانية ، والاعدادية المركزية ، قبالة دار الضباط • وأما المدرسة العلائية وهي مدرسة للحنفية تنسب الى الامير علاء الدين بن عبدالمؤمن التركستاني • ويقال لها الشاطئية ، فقد انشئت على كرسى الجسر العتيق المحاذي للمدرسة النجيبية المذكورة آنفا ، فى موضع حسن سنة ٦٩٣هـ • وأما المدرسة الزيركية فهي مدرسة للحنفية أيضا • وكانت فى سوق العميد الواقعة قبالة سوق السلطان • وقد يبدو لاول وهلة ان « القصر العباسى » قد يكون المدرسة العلائية غير أننا بعد البحث والتحري استرخصنا ان يكون هذا القصر المدرسة الشراية وهي المدرسة الاقبالية ، أو الشرفية التى اسسها شرف الدين اقبال الشرايى • لأن المدرسة العلائية بالرغم من كونها كانت « جميلة البناء ، شاهقة الارجاء » كما يقول ابن الفوطى لا يصح ان تكون هى « القصر العباسى » ولا يمكن ان تدانيه أو تضاهيه من حيث الروعة والجمال بدليل ان ابن الفوطى ذكر انهم ذبحوا لها بقرة تصدقوا بلحمها على الفقراء عند وضع الملبن على الباب^(٢) • مما يدل على قلة ثروة مؤسسها اذا قيس ذلك بالبدل الذى بذله اقبال الشرايى وأغدقه على المدعوين يوم افتتاح مدرسته • مما يجعلنا نستنتج ان الزخارف والمقرنصات التى حفلت بها هذه العمارة التى تعد من آيات الفن الاسلامى • وما انفق عليها من أموال طائلة لا يمكن ان تكون فى المدرسة العلائية • ومن المعقول جدا ان يكون هذا البذل والانفاق للشرايى على المدرسة الشراية ، ناهيك بما بذله على عماراته الاخرى فى العراق ، والحجاز •

(١) وقد جدد بناؤها سنة ١٩٤٩م • واضفنا اليها مدرسة كبيرة فى تلك السنة عندما كنت مديرا لاقواف منطقة بغداد • وجعلت المدرسة متوسطة أول الامر وهي اليوم اعدادية •

(٢) لا تزال هذه العادة متبعة فى بغداد وهي ان تذبح ذبيحة وتوزع على الفقراء وعمال البناء عند تركيب باب الدار •

لقد كان الشرايى اثرا عند المستنصر بالله ويظهر انه كان يتقرب اليه
والى الناس بخدمة العلم ، والدين ويقوم بالاعمال الجليلة الاخرى كبناء
المدارس ، والرُّبط ، ووقف الاوقاف الكثيرة عليها . فقد روى
المؤرخون أنه بنى ببغداد المدرسة الشرايية ، كما بنى مثلها فى كل من
واسط مدينة الحجاج . ومكة المكرمة .

اما مدرسته التى ببغداد ، وهى التى تهمنا فى بحثنا هذا فقد بنيت فيما
ذكره العماد الحنبلى « فى سوق السلطان^(١) » . وذكر النعمى انها بنيت
« بسوق العجم من بغداد^(٢) » وذكر مؤلف الحوادث الجامعة : ان بناءها كان
« فى سوق العجم بالشارع الاعظم بالقرب من عقد سور سوق السلطان
[باب المعظم^(٣)] ، مقابل درب للملاحين^(٤) » وقال أيضا : « وبني [الشرايى]
ببغداد مدرسة فى سوق السلطان^(٥) » .

وذكر ابن النجار ان سوق السلطان كانت قرية من دجلة فقد جاء
فى الجواهر المضية^(٦) ان محمد بن محمد البلخى الزاهد المتوفى ببغداد
سنة ٦٠٢ هـ قدم بغداد واستوطنها « بسوق السلطان فى مسجد له قريبا من
دجلة » .

وقد ذكر كثير من المؤرخين ان الذى بنى جامع سوق السلطان هو
الناصر لدين الله العباسى وقد بناء مقابل سوق العميد ، ويظهر ان المحلة التى
عرفت بسوق السلطان كانت حول سوق السلطان وهى محلة الميدان^(٧)
الحالية . كما يظهر ان معظم هذه السوق قد اندمج فى القلعة .

(١) شذرات الذهب ج ٥ ص ١٦١ .

(٢) الدارس فى تاريخ المدارس ج ١ ص ١٥٩ .

(٣) احد أبواب بغداد الرئيسية وقد هدم سنة ١٩٢٣ م .

(٤) الحوادث الجامعة ص ٢٤ ، ٣٠٨ .

(٥) الحوادث الجامعة ص ٣٠٨ .

(٦) ج ٢ ص ١١٨ .

(٧) راجع حاشية الدكتور مصطفى جواد فى ص ٣٧ من « تكلمة
اكمال الاكمال » للصابونى وص ١٤٨ من الجامع المختصر لآين الساعى .
والكتابان من تحقيق الدكتور مصطفى جواد .

فإذا كانت سوق السلطان هي سوق الميدان التي بالقرب من باب المعظم • ومسجد سوق السلطان في اغلب الظن هو جامع القلعة الحالى الذى بناه الناصر لدين الله العباسى ادر كنا ان المدرسة الشراية يحتمل جدا ان تكون هي « القصر العباسى » واذا كانت هذه المدرسة قريبة من درب الملاحين أو مقابل درب الملاحين كما ورد ذلك فى الحوادث الجامعة فان درب الملاحين لا بد ان يكون مما يلى دجلة على مقربة من بهو أمانة العاصمة • وهذه المشرعة قريبة جدا من « القصر العباسى » أى انها قريبة جدا من المدرسة الشراية • على ان الذى يؤيد هذا الرأى ويقويه ان المسافة بين باب « القصر العباسى » وبين نهر دجلة تبلغ نحو ثمانين مترا ، ولذلك فمن المحتمل جدا ان يكون فيها أو على مقربة منها « درب الملاحين » الذى بنيت المدرسة الشراية قبائله أو على مقربة منه ••

٢ - افتتاح المدرسة الشراية

ويحسن بنا بعد الذى ذكرناه عن هذه المدرسة ان نشير الى افتتاحها والى بعض اخبارها •

ذكر النعمى^(١) نقلا عن ابن كثير قال : « وقال ابن كثير فى سنة ثمان وعشرين وستمئة : وفيها تكامل بناء المدرسة الاقبالية التى بسوق العجم من بغداد ، المنسوبة الى اقبال الشرايى • وحضر بها الدرس • وكان يوما مشهودا • واجتمع فيها جميع المدرسين ، والمعيدى ببغداد • وعمل بصحنها قباب الحلوى ، فحمل منها الى جميع المدارس والرُّبط • ورتب فيها خمسة وعشرين فقيها لهم الجوامك الدارّة فى كل شهر • والطعام فى كل يوم • والحلوى فى أوقات المواسم • والفواكه فى زمانها • وخلع على المدرسين ، والمعيدى ، والفقهاء يومئذ • وكان وقفا حسنا ، تقبل الله منه » • وذكر مؤلف الحوادث الجامعة قال : « وفى شوال [سنة ٦٢٨ هـ] تكامل بناء المدرسة التى انشأها شرف الدين اقبال الشرايى بسوق العجم ، بالشارع

(١) الدارس فى تاريخ المدارس ص ١٥٩ - ١٦٠ •

الاعظم ، بالقرب من عقد سور سوق السلطان مقابل درب الملاحين ، وكان المتولى لبنائها شمس الدين ابو الازهر أحمد ابن الناقد^(١) ، وكيل الخليفة المستنصر بالله . وشرط الواقف له النظر فيها وفي اوقافها ثم بعده الى من يلي وكالة الخلافة ، وفتحت في آخر شوال ورتب بها الشيخ تاج الدين محمد ابن الحسن الارموى مدرسا وخلع عليه ، وعلى الفقهاء ، والمعيد وجميع الحاشية ، ومن تولى عمارتها . وحضر جميع المدرسين ، والفقهاء على اختلاف المذاهب . وقاضى القضاة عبدالرحمن بن مقبل ، فجلس في صدر الايوان . وجلس في طرفي الايوان محي الدين محمد بن فضلان . وعماد الدين ابو صالح نصر بن عبدالرزاق بن عبدالقادر فكلهما كان قاضى قضاة . وعمل من أنواع الاطعمة ، والحلواء ، ما تعبى في صحنها قبابا ، وحمل من ذلك الى جميع المدارس والاربطة ، وقرئت الختمة ، وتكلم الشيخ محمد الواعظ ، ثم جلس المدرس بعده ، وذكر دروسا أربعة فأعرب عن غزارة فضله ، وتوسع علمه^(٢) . وجاء في الحوادث الجامعة أيضا ان الشيخ تاج الدين محمد ابن الحسن الارموى مدرس الشرفية المذكور توفي في سنة ٦٥٣هـ وقد جاوز عمره ثمانين سنة قال : « وكان وحيد عصره فضلا ، وفريد داره علما . قرأ على الامام فخر الدين الرازى وصحبه ، وكان متواضعا لمن دونه ، مترفعا على من فوقه ، وكان عريض النعمة ، واسع الجاه بوجود الشرايى ، يستكثر من الممالك الحسان الترك وغيرهم . وكان اهل بغداد يتحدثون فيه ، فلا يعبأ بحديثهم ولا يكثرث لذلك . حكى عنه بعض أصحابه قال : قلت له يوما : ان الناس قد

(١) نصير الدين ابو الازهر من كبار رجال العرب العلويين ، ولى وكالة ام الخليفة الناصر في وقوفها ، فلما ولى الظاهر وكله لاولاده العشرة . فلما ولى المستنصر احضره يوم مبايعته ، واشهد له بوكالاته ، واضيفت له استاذية الدار سنة ٦٢٧هـ ثم نقل الى الوزارة سنة ٦٢٩هـ والوكالة باقية عليه . مولده في شوال سنة ٥٧١هـ ووفاته ٦ شهر ربيع الاول سنة ٦٤٣هـ ودفن في الكاظمية .

(٢) الحوادث الجامعة ص ٢٤ - ٢٥ . وراجع تاريخ علماء المستنصرية

١١٢ ، ١١٦ ، ٣٠ عن ابن مقبل وابن فضلان وابى صالح الجبلى .

أكثرُوا القول في هؤلاء الممالك فقال : الست تعلم ان الإنسان يجب ان يسكن أحسن الدور ، ويلبس أفخر الثياب ، ويأكل أطيب المأكَل ، ويركب أجمل المراكب ؟ قلت بلى • قال : فلم لا يكون من يلي خدمتي به ، ويقرب منه على احسن صورة ! وان شئت أريتكَ ما بدارى من الجوارى الحسان ، فامسكت عنه • وعرفت انه كذا ينبغي للعاقل ان يفعل • وقيل له يوما : ان جاريتك فلانة تحب مملوكك فلانا ، وكانا في غاية الحسن ، والجمال فقال : الآن ثبت عندى صحة عقلها • ودفن فى قبة بنيت له فى الشونيزى « (١) •

الفصل الثالث

اقبال الشرايى مؤسس الشرايية

جاء فى الحوادث الجامعة انه شرف الدين أبو الفضائل اقبال الشرايى (٢) وكان اولاً لعز الدين نجاح الشرايى • وانتقل الى زوجته بعد وفاته فلما افضت الخلافة الى الظاهر حملته اليه فقبله ، فأبعده عنه رشيق ، وانفذه الى ولده المستنصر فلما دخل عليه قال له : ما اسمك ؟ فقال : اقبال • فسر بذلك واستبشر ، وتفاؤل به فلما افضت الخلافة اليه ، قرب به ، وقبض على رشيق وجبسه ، وجعل اقبالاً شرايياً ، ثم جعله سرخيل العسكر ، فلما توفي زعيم اربل سار بالعسكر اليها ، وأخذها وعاد مظفراً فلما افضت الخلافة الى المستعصم زادت منزلته عنده ، وقرب من قلبه ، فلما وصلت عساكر المغول سنة خمس وثلاثين [وستمئة] خرج الى لقاءهم ، وظهر من حسن تدبيره ما اوجب زيادة الانعام عليه • وكان حال الملك منتظماً بصائب رأيه فلما توفي اختلت الاحوال بعده « (٣) •

(١) ص ٣١٠ - ٣١١ • والشونيزى هى مقبرة الجنيد البغدادى بجانب الكرخ •

(٢) ص ٧٦ و ٣٠٨ •

(٣) الحوادث الجامعة ص ٣٠٩ •

ولما غيرت ثياب الغزاء بعد الحداد على المستنصر وتولى ابنه المستعصم
الخليفة خلع على شرف الدين اقبال الشرابى فى حضرة الخليفة المستعصم ،
وقلده سيفين بيده • وقدم له مركوب من خيل الخليفة فى البستان ، فخرج
راكبا وبين يديه الخدم بسيوف مشهورة ، فخدمه الامراء بين يدي مركوبه •
فخرج من باب النوبى فلما انتهى الى باب البدرية استأذنه علاء الدين الطبرسى
الدويدار ، وكان راكبا فى آخر الامراء فى العود الى داره فأذن له ،
وللامراء فنزل علاء الدين وعضده ، وقبل يده وعاد^(١) •

وجاء فى الحوادث الجامعة انه بنى فى الجانب الشرقى من واسط مدرسة
للمشافعية ، فتحت فى سابع عشر شعبان من سنة ٦٣٢ هـ بناها على دجلة مجاورة
لجامع كان دائراً فأمر بتجديد عمارته ، ورتب به مدرسا العدل أحمد بن نجا
الواسطى • ورتب بها معيدان ، واثنان وعشرون فقيها وخلق على الجميع ،
وعلى من تولى عمارتها من النواب ، والصناع ، والحاشية الذين رتبوا
لخدمتها • وعمل فيها دعوة حسنة حضرها صاحب الديوان « ابن الدباهى »
والناظر بواسط ، والقاضى ، والقيان ، والقراء ، والشعراء • وكان المتولى
لعمارتها والذى جعل النظر اليه والى عقبه فى وقفها ابو حفص عمر بن
ابى بكر بن اسحق الدورقى^(٢) •

وذكر قطب الدين الحنفى فى كتابه الاعلام باعلام بيت الله الحرام^(٣)
انه « بنى بمكة مدرسة على يمين الداخل الى المسجد الحرام من باب السلام
ووقف فيها كتباً كثيرة فى سنة ٦٤١ هـ ويظهر ان هذه الكتب كما يقول
قطب الدين « ذهبت شذر مذر والمدرسة باقية الى الآن وقد صارت رباطا
وفيه محل التدريس » •

وجاء فى الحوادث الجامعة^(٤) انه جدد بمكة الرباط الذى اشتهر ذكره

(١) الحوادث الجامعة ١٦٧ - ١٦٨ •

(٢) الحوادث الجامعة ٧٧ •

(٣) ص ٨٢ •

(٤) ٣٠٨ - ٣٠٩ •

فى الدنيا ، وعين عرفة التى فى الموقف ، وأجرى ماءها لانتفاع الحاج به ،
واوقف على ذلك الوقوف السنفة . قال : وكان كثر الصدقات ،
والمواصلات . كان فى خدمة الخليفة بالحلة فمرض بها وحمل الى بغداد
فى شبّارة ، وهو مثقل ، فوصل فى سابع عشرى شوال [سنة ٦٥٣هـ]
وتوفى فى ثامن عشرىه . وصلى عليه فى جامع القصر ، ودفن فى تربة ام
الخليفة المستعصم باب القبة على يمين الداخل . وجلس الوزير ، وارباب
المناصب فى العزاء بالمدرسة المستنصرية . وكان شىخا شجاعا كريما ، شريف
النفس ، على الهمة^(١) .

(١) راجع ص : ٩٨ و ٩٩ و ١٠٩ و ١١٠ من الكتاب المظنون انه الحوادث
الجامعة عن اعماله العسكرية وجهوده فى صد المغول عن اربل ، وبغداد .

المراجع

- ١ - المدارس فى تاريخ المدارس للنعمى .
 - ٢ - شذرات الذهب لابن عبدالحى الحنبلى .
 - ٣ - البداية والنهاية لابن كثير .
 - ٤ - الحوادث الجامعة المنسوب لابن الفوطى . تحقيق الدكتور مصطفى جواد .
 - ٥ - الفخرى لابن الطقطقى .
 - ٦ - الاعلام باعلام بيت الله الحرام لقطب الدين الحنفى .
 - ٧ - تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ج ١
 - ٨ - معجم البلدان لياقوت الحموى
 - ٩ - مرصد الاطلاع لصفى الدين عبدالمؤمن
 - ١٠ - مروج الذهب للمسعودى
 - ١١ - مرآة الزمان لسبط ابن الجوزى .
 - ١٢ - رحلة ابن جبير .
 - ١٣ - بقايا القصر العباسى . لمديرية الآثار القديمة .
 - ١٤ - سامراء . لمديرية الآثار القديمة .
 - ١٥ - تكملة الاكمال للصابونى
 - ١٦ - الجامع المختصر لابن الساعى
- وهما من تحقيق الدكتور مصطفى جواد {
- ١٧ - تاريخ علماء المستنصرية . ناجى معروف
 - ١٨ - النصوص الكتابية على جدران المستنصرية والمرجانية .
 - ١٩ - مجلة سومر .
 - ٢٠ - مجلة التقيض .
 - ٢١ - مباحث عراقية ليعقوب سركيس .
 - ٢٢ - شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد .
 - ٢٣ - ابن الفوطى : للشيبى .

24 — Mission en Mesopotamie. Louis Massignon. VII.

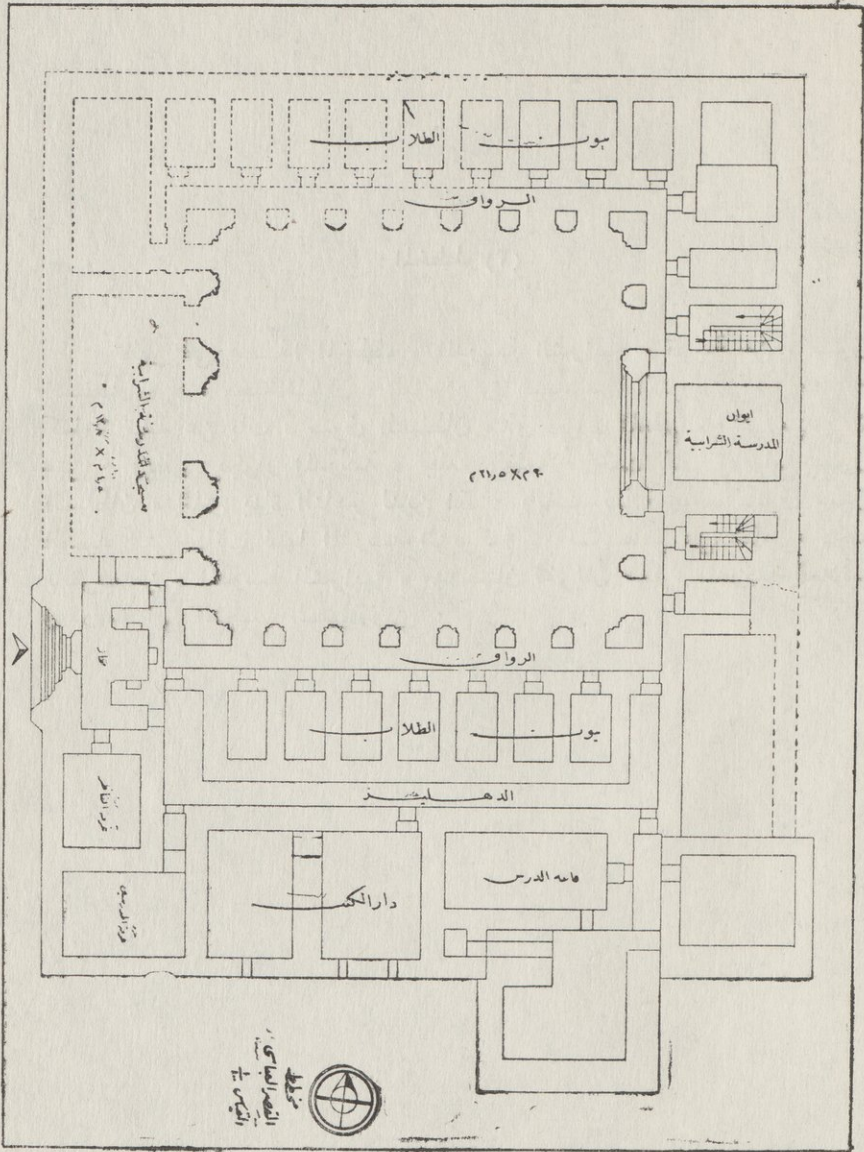
25 — L'architecture Musulmane du XIIIe Siècle en Iraq. Paris 1913.

المخططات
والالواح
والشروح

المخطط (١)

مخطط كامل للمدرسة الشرايية تظهر فيه الرحبة أو الصحن وهو الساحة الوحيدة التى فى هذه المدرسة ، وهى مربعة تقريبا كساحة المدرسة المرجانية . ويطل على الساحة مسجد المدرسة ، وايوانها الشاهق ، والاروقة ، وبيوت الطلبة فى الطابقين . كما يظهر فى المخطط باب المدرسة الواقع مما يلى دجلة ، والقاعات الكبرى التى اتخذت للتدريس ، ولخزانة الكتب ، وللقائمين بشؤون المدرسة العلمية والادارية . وقد دلت التحريات الاثرية التى قامت بها مديرية الآثار العامة ان الاسس اصلية لم يظهر فيها أى أثر يدل على النقص ، أو على اضافة اسس أخرى ، كما أنه ليس فيها اسس أو جدران تتعارض مع الاسس الاصلية . ويلاحظ أن هذا المخطط قريب الشبه جدا بمخططى مدرستين معروفتين باقيتين ببغداد هما : المدرسة المستنصرية والمدرسة المرجانية من حيث شكل الاواوين والحجرات والغرفات والدهاليز والاروقة .

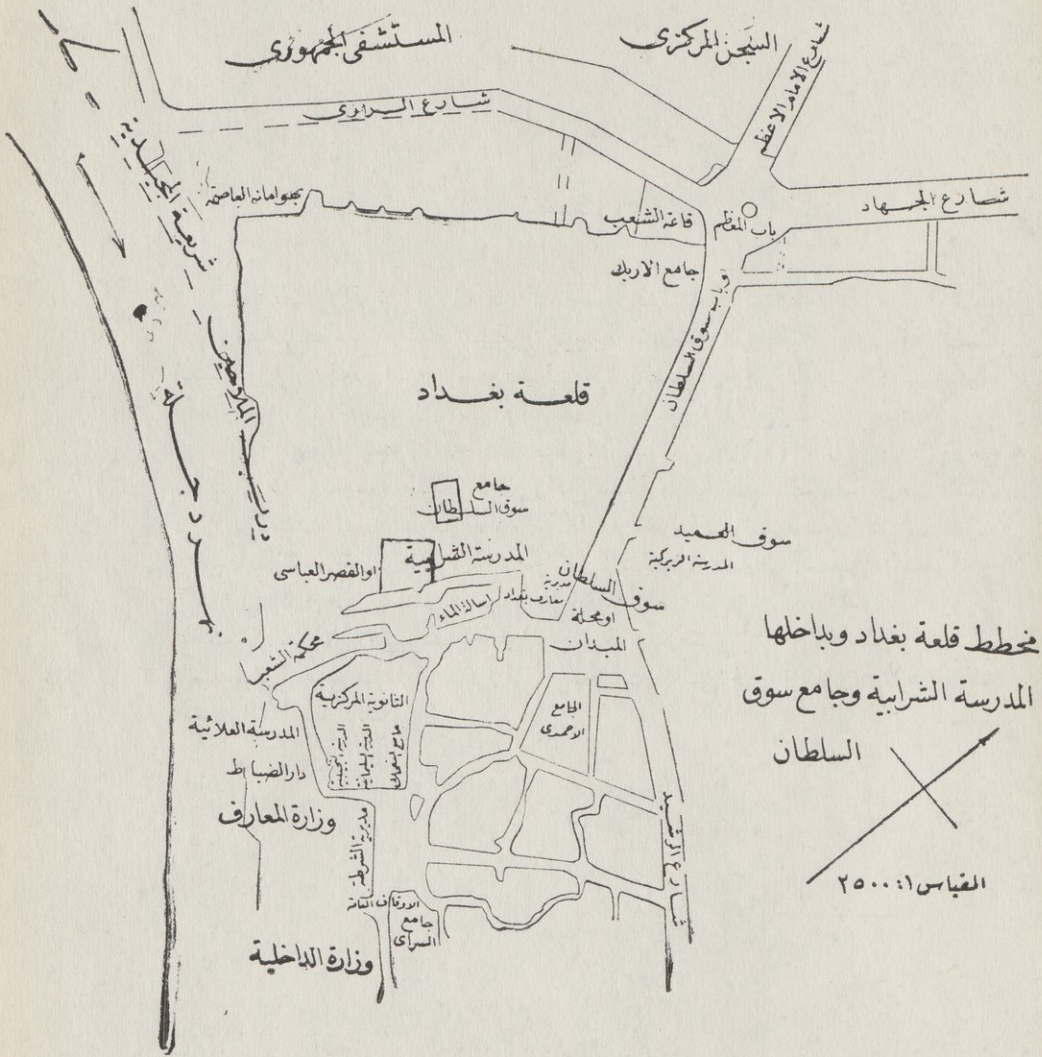
المخطط (١)



المخطط (٢)

تظهر فى هذا المخطط « المدرسة الشرايية » قريبة من « سوق السلطان » أو « محلة الميدان » اليوم . ولا تبعد عنها أكثر من ١٥٠ مترا . كما لا تبعد عن باب « سوق السلطان » أو « باب المعظم » أكثر من ٣٠٠ متر . ويظهر بجوار المدرسة « جامع القلعة » حيث كان « جامع سوق السلطان » الذى بناه الناصر لدين الله . ويظهر قبالة هذه السوق سوق العميد التى كانت فيها المدرسة الزيركية . كما يظهر على شاطئ دجلة بالقرب من « المدرسة الشرايية » مدرستان أخريان هما : المدرسة العلائية ومدرسة أبى النجيب السهروردى .

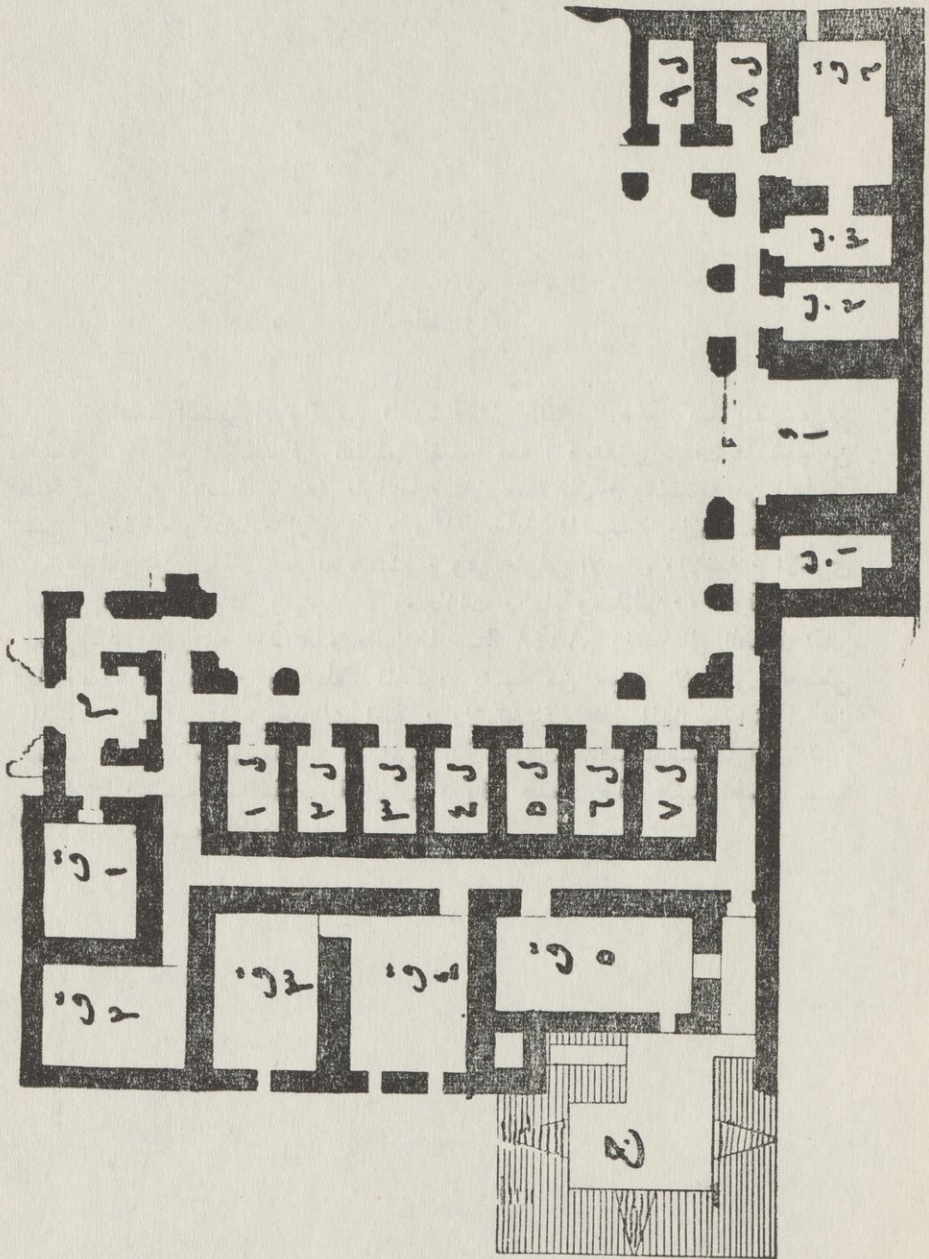
المخطط (٢)



المخطط (٣)

مخطط الطابق الاول من المدرسة الشرايية كما هو اليوم . وتبدو فيه رجة المدرسة مربعة الشكل كرجة المدرسة المرجانية . وقبالة الضلع القبلي ايوان فخم اشير اليه يحرف (أ) يشبه أوواين المدرسة المستنصرية والمرجانية من حيث الارتفاع والسعة ، والثروة الزخرفية . ويلاحظ على الاضلاع الباقية وجود حجرات صغيرة تبدأ من (ل ١) حتى (ل ٩) وهي بحجم غرف المدرسة المرجانية ، وأقل سعة من غرف المستنصرية ، ولاشك في انها كانت تتخذ بيوتا للطلاب كما هو الحال في المدرستين ، المستنصرية والمرجانية . ويقابل الايوان ردهة كبيرة لم يبق منها الا اسسها السميكة . ويدل وقوعها في الضلع القبلي على انها كانت مصلى لهذه المدرسة . وهي بذلك كمسجدى المستنصرية والمرجانية . ومما يؤكد ذلك ان الضلع القبلي في هذه البناية ليس فيها حجرات كالتى في الاضلاع الاخرى كما اثبت التنقيب ذلك .

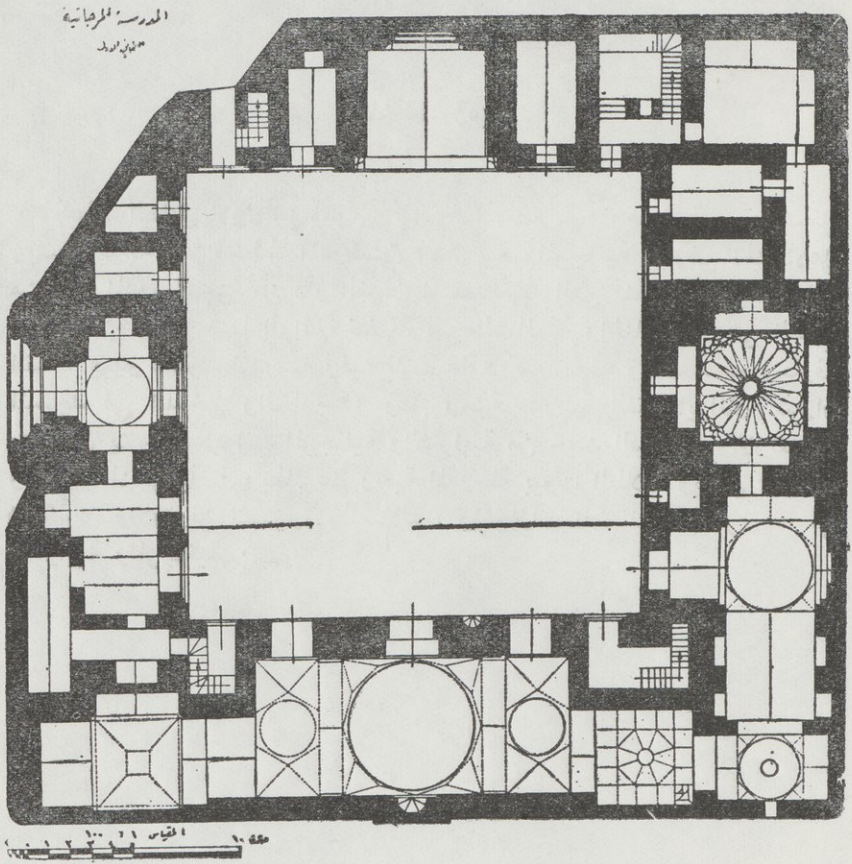
(۲) الخط



المخطط (٤)

مخطط الطابق الاول من المدرسة المرجانية • وهو كما يبدو مربع الشكل • ويقع المسجد فى الضلع القبلى منه ، ويتكون سقف المسجد من قبة كبيرة فى الوسط ، وعلى طرفيها قبتان صغيرتان • والمسجد من الداخل غنى بزخارفه وكتابات الآجرية • وكان يقابل المسجد ايوان ضخم كانت فيه سطور من كتابات آجرية جميلة • وعلى طرفى الايوان والاضلاع الاخرى بيوت الطلبة ، ومدفن مرجان ، ومجازات ورداه وسلالم ••• وقد تغيرت معالم هذه المدرسة بعد هدم مصلها سنة ١٩٤٨م ونقله الى الضلع التى كان فيها الايوان • والمخطط المذكور يشبه من حيث الاساس مخططى المدرستين : المستنصرية والشرابية • ولا تختلف هذه المدارس الثلاث عن بعضها الا فى أمر واحد هو أن المرجانية اتخذت مدفناً لمؤسسها أمين الدين مرجان فى القبة الواقعة قبالة الباب • وقد هدمت هذه القبة الجميلة سنة ١٩٤٨م وسويت بالارض •

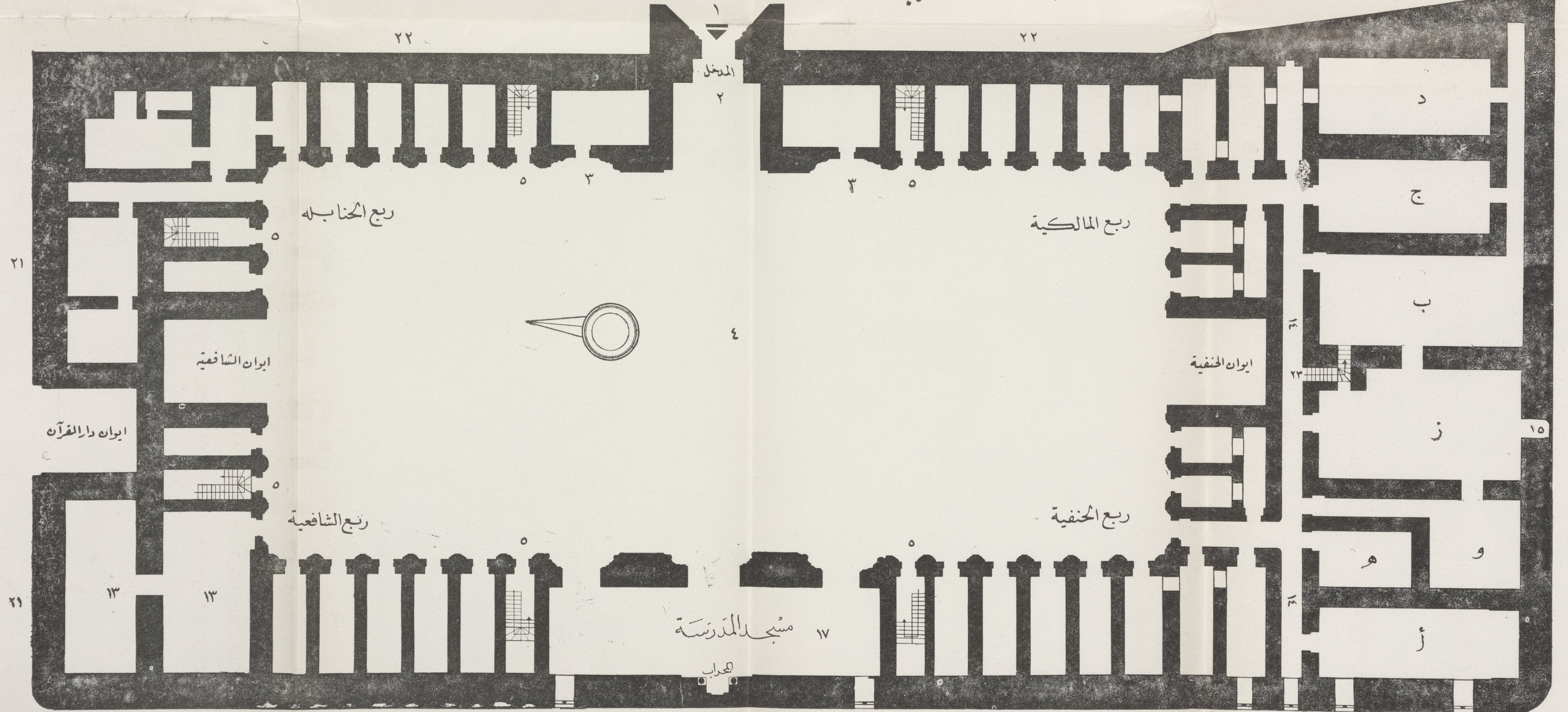
المخطط (٤)



المخطط (٥)

مخطط الطابق الاول من مدرسة الفقه المستنصرية . وهو مستطيل الشكل ويشبه بوجه عام مخطط المدرستين الشرايية والمرجانية . وفى الحد الاعلى من هذه المدرسة جزء من دار القرآن المستنصرية التى يشغل جامع الآصفية اليوم الجزء الاعلى منها الواقع خلف ربعى الشافعية والحنابلة . وفى الضلع القبلى يبدو مسجد المدرسة وفيه ثلاث عقود كبيرة وقد زالت جميع زخارف المسجد فى الداخل والخارج . وعلى رحبة مدرسة الفقه ايوانان كبيران متقابلان يشبهان ايوانى المرجانية والشرايية من حيث السعة ، والارتفاع ، والثروة الزخرفية . ويطل على رحبة المدرسة بيوت الطلاب وبعض القاعات الكبرى والاواوين الصغيرة والسلالم ، والمجازات المختلفة على طراز ما فى الشرايية والمرجانية .

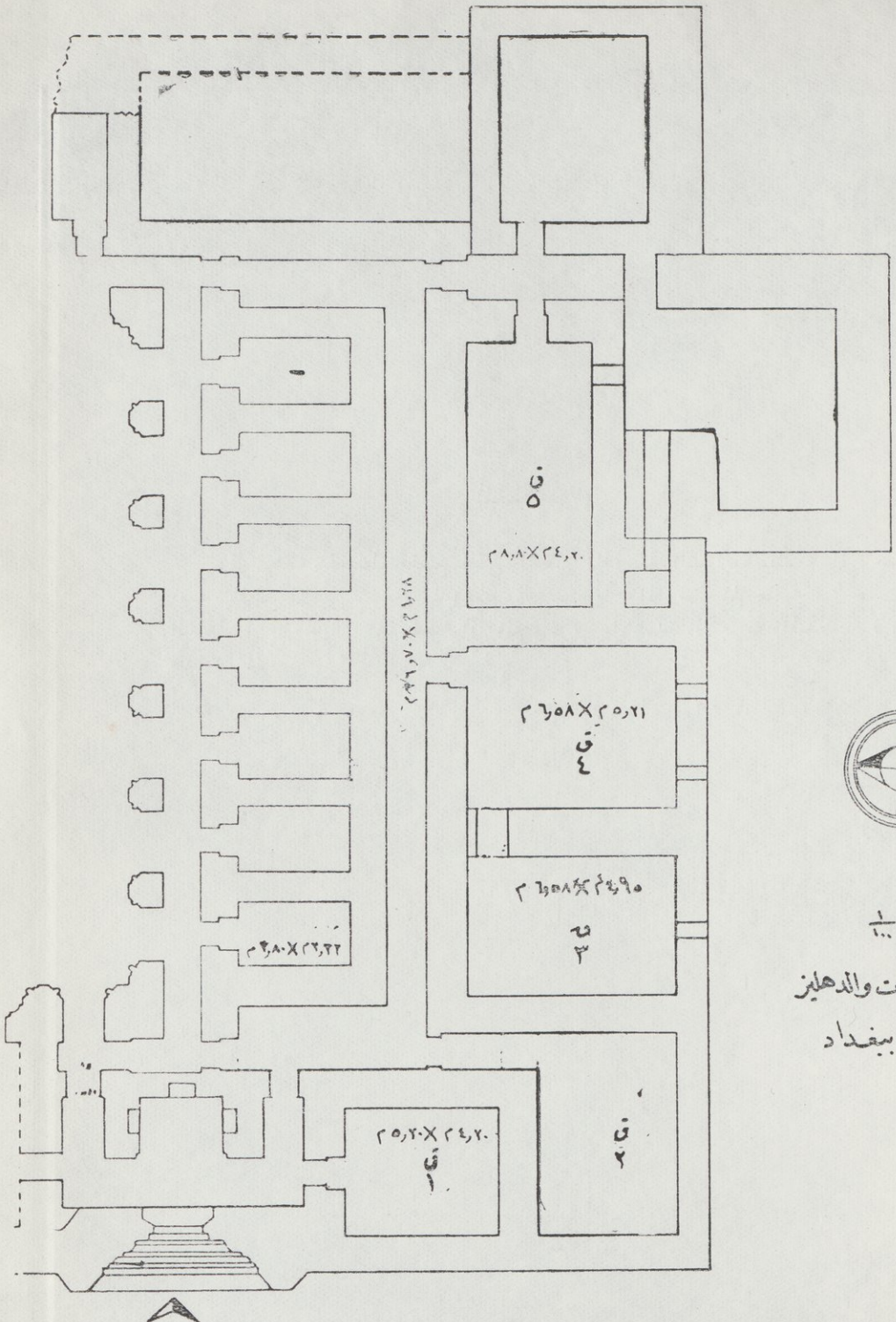
مخطط الطابق الاول من المدرسة المستنصرية



المخطط (٦)

ويظهر فيه القسم الاسفل من الشراية بحجراته الصغيرة وقاعاته الكبيرة ، والدهليز ، والمجازين اللذين يتصلان برحبة المدرسة • وهذا القسم من « المدرسة الشراية » يشبه تمام الشبه القسم الاسفل من المدرسة المستنصرية بحجراته الصغيرة ، وقاعاته الكبيرة ، والدهليز ، والمجازين اللذين يتصلان برحبة المدرسة • (راجع مخطط المستنصرية المرقم « ٥ ») •

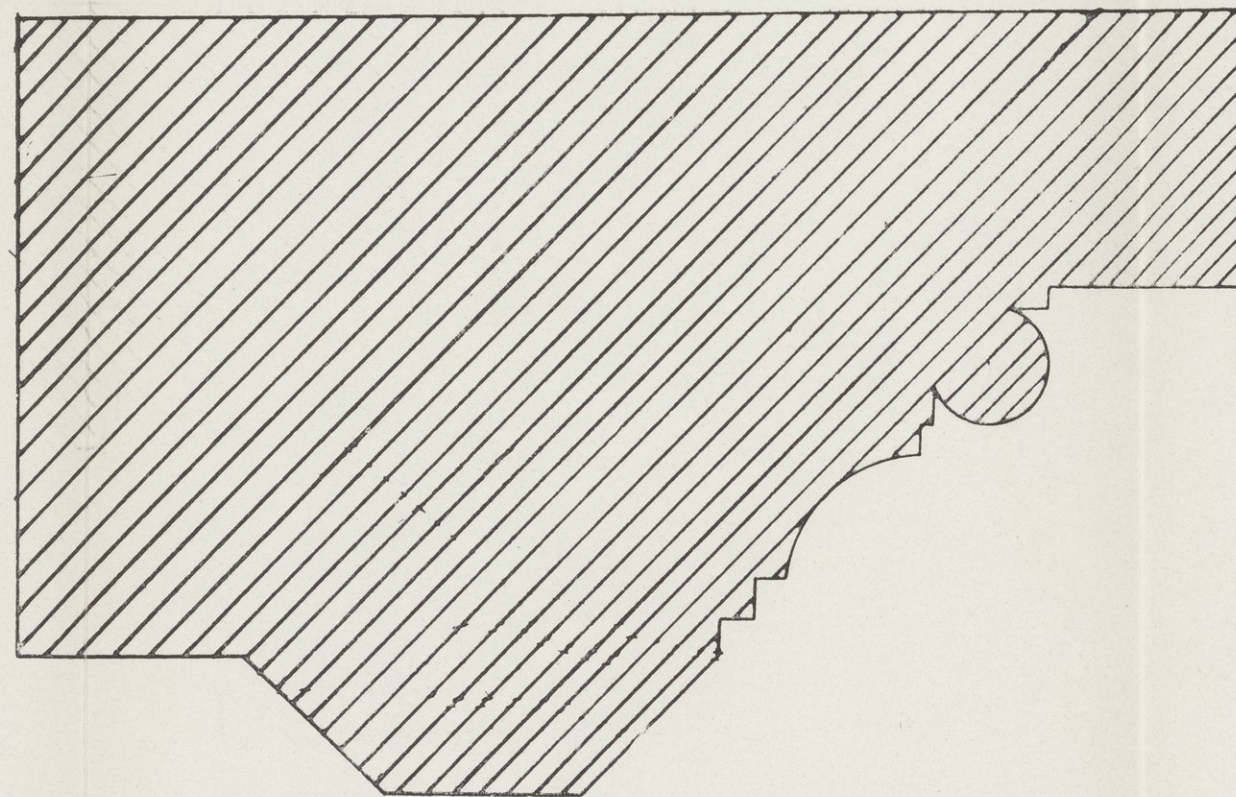
(7) bbil!



المغاسير $\frac{1}{11}$
فقط القاعات والدهليز
الشرابية : بيغداد

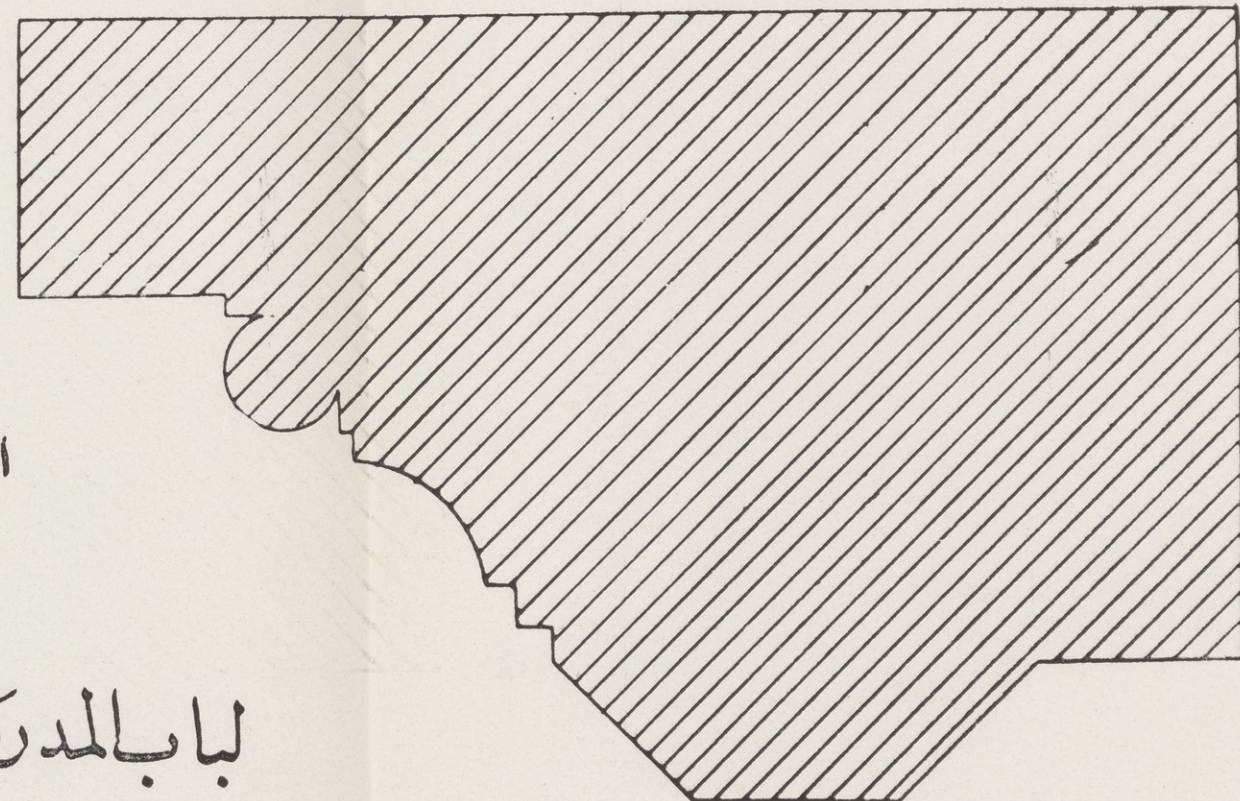
المخطط (V)

في هذا المخطط مقطع افقى لمدخل المدرسة الشرايية يشبه الى حد بعيد المقطع الافقى لمدخل المدرسة المستنصرية والمدرسة المرجانية من حيث السعة ، والجدران المسطحة أو المقعرة ، والاعمدة الآجرية المندمجة في جدارى المدخل .



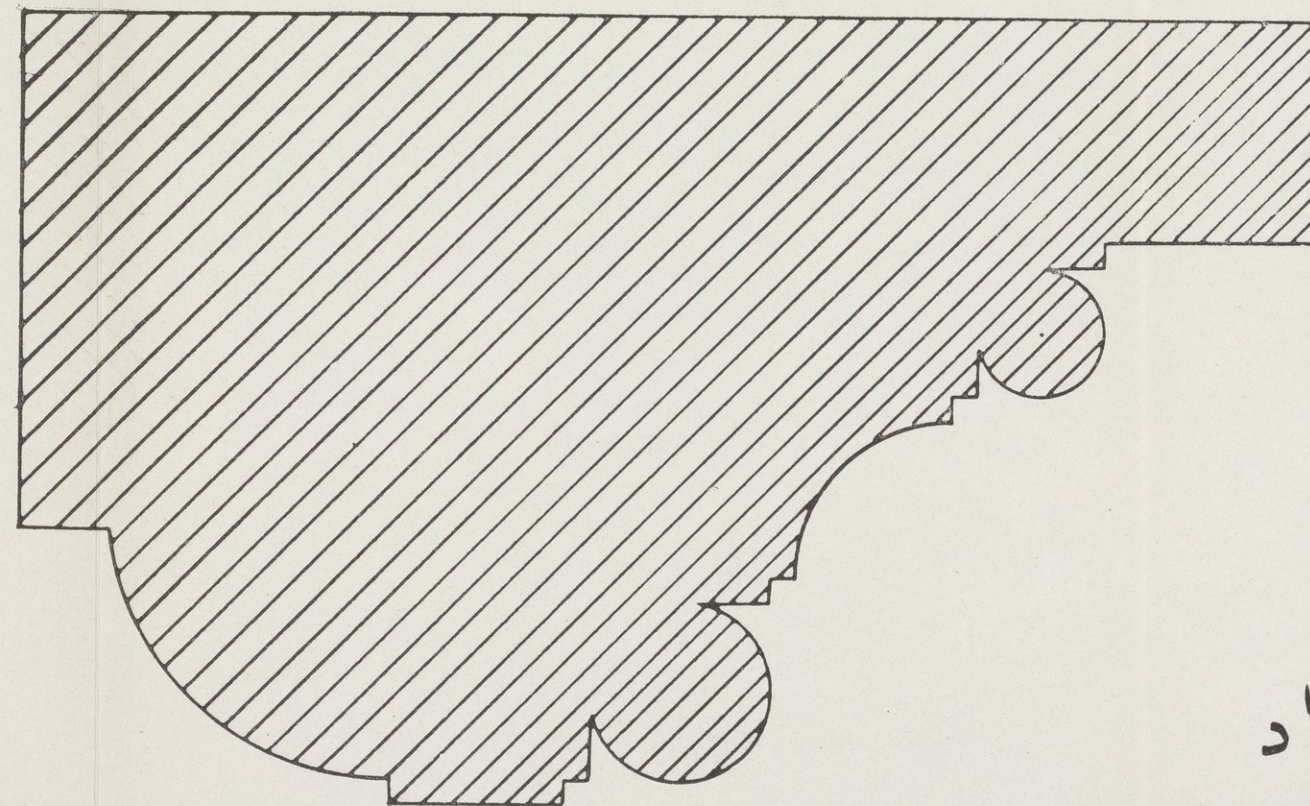
المقياس ١: ٢٠
مقطع افقي

لباب المدرسة الشراعية : ببغداد



المخطط (٨)

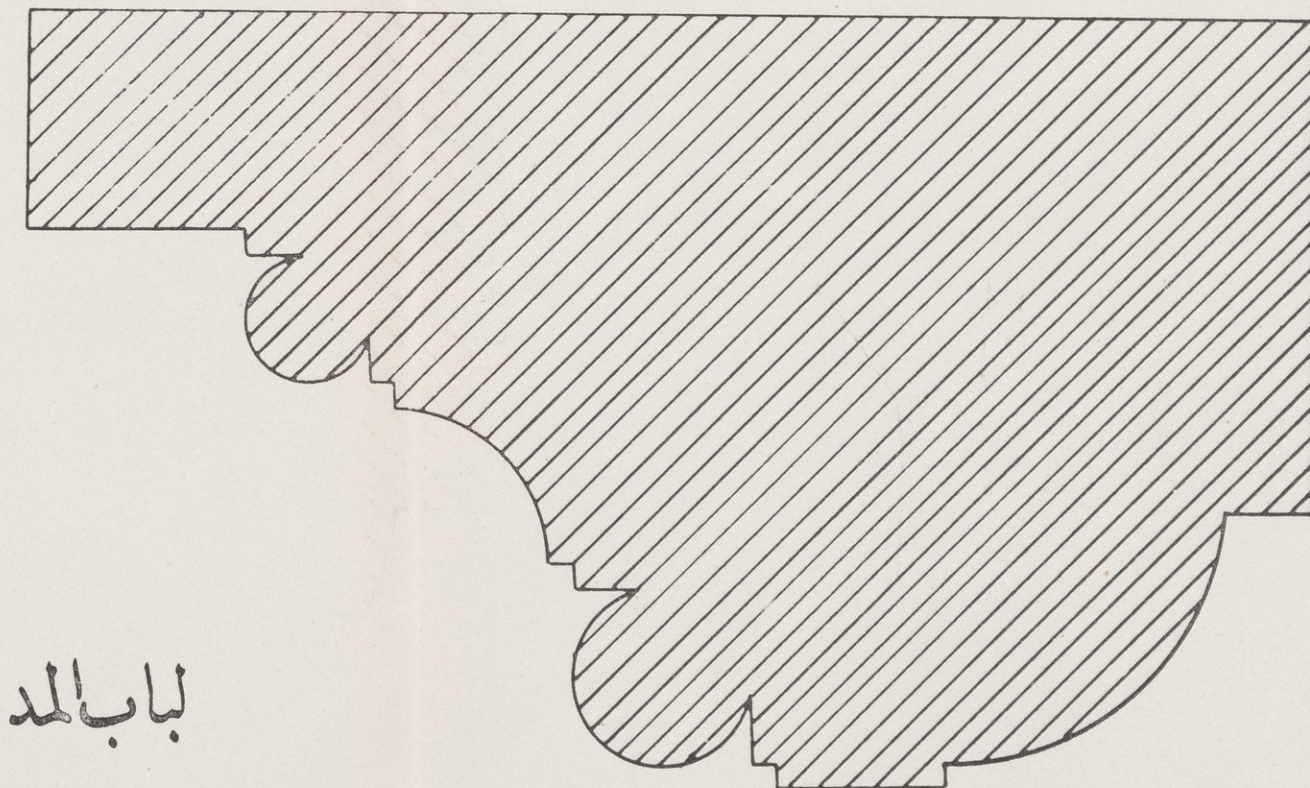
في هذا المخطط مقطع افقى لدخل المدرسة المرجانية يشبه المقطع الافقى لدخل المستنصرية • ويمكن ان يقارن به مدخل المدرسة الشراعية من حيث السعة والارتفاع والجدران المسطحة أو المقعرة والاعمدة الآجرية المندمجة فى جدارى المدخل • ويلاحظ ان هذا المدخل قد زخرف وتاجه وجانباه بزخارف وكتابات آجرية جميلة •



المقياس ٢٠ : ١

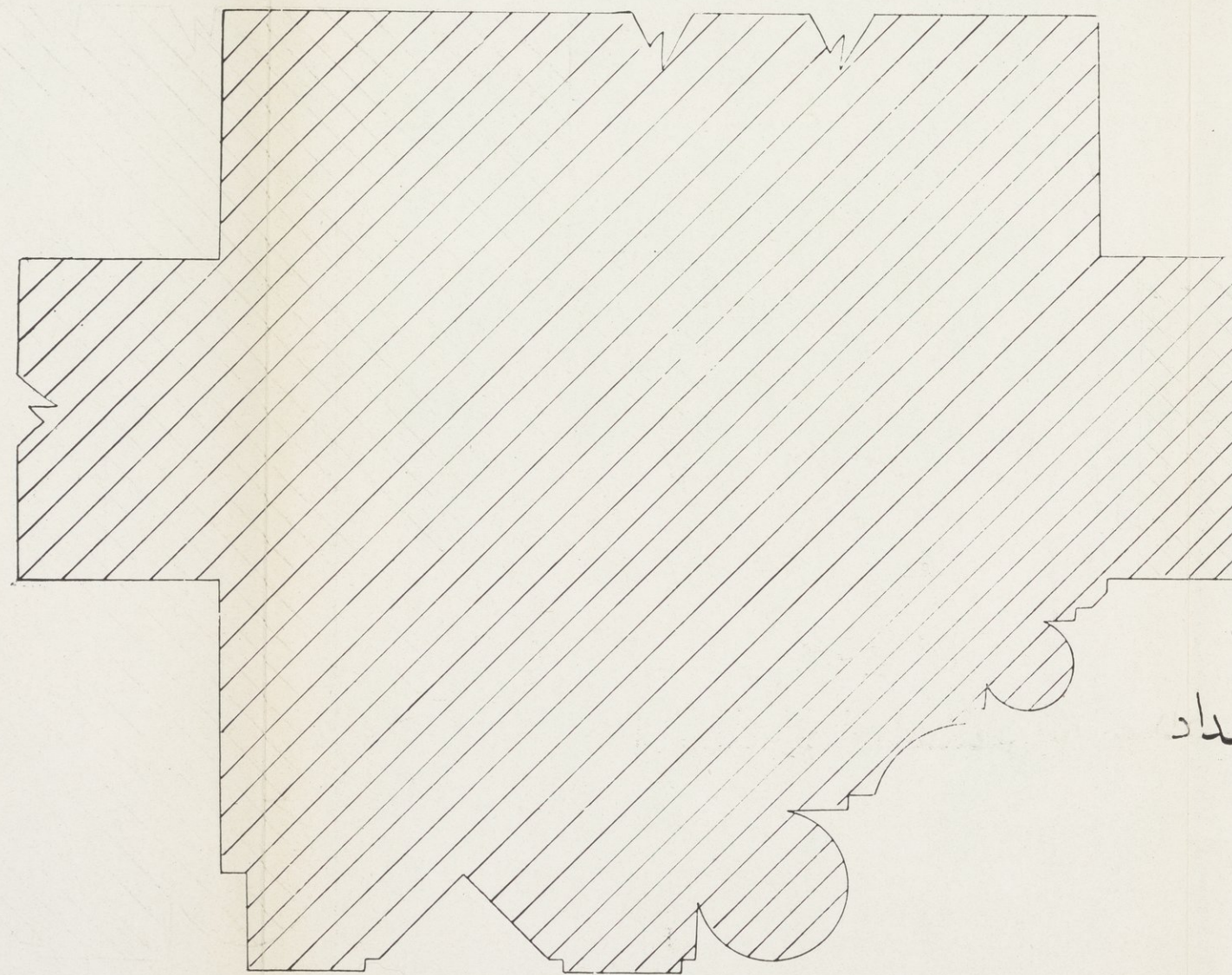
نقطة افقى

لباب المدرسة المرجانية : ببغداد



المخطط (٩)

فى هذا المخطط مقطع افقى لمدخل المستنصرية يمكن ان يقارن به مدخل المدرسة الشرايية من حيث السعة والارتفاع ، والتحديث والتغيير . ويلاحظ ان هذا المدخل قد زخرف جانباه بزخارف آجرية رائعة بارزة أو غائرة على جدران مسطحة أو مقعرة أو على أعمدة اسطوانية مندمجة ، كما زخرف رتاجه بزخارف أو كتابات آجرية غاية فى الروعة والدقة .

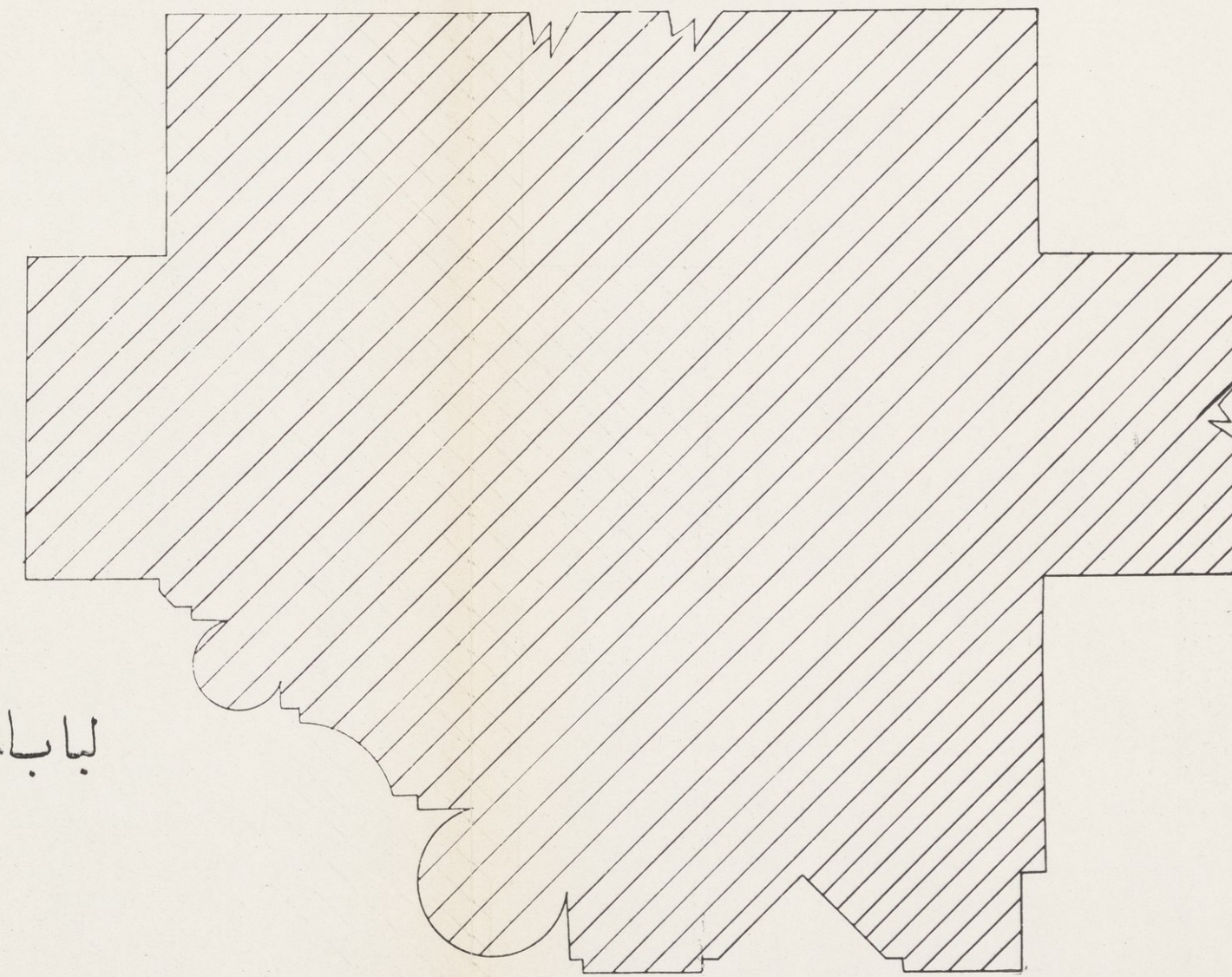


المقياس ٢٠:١



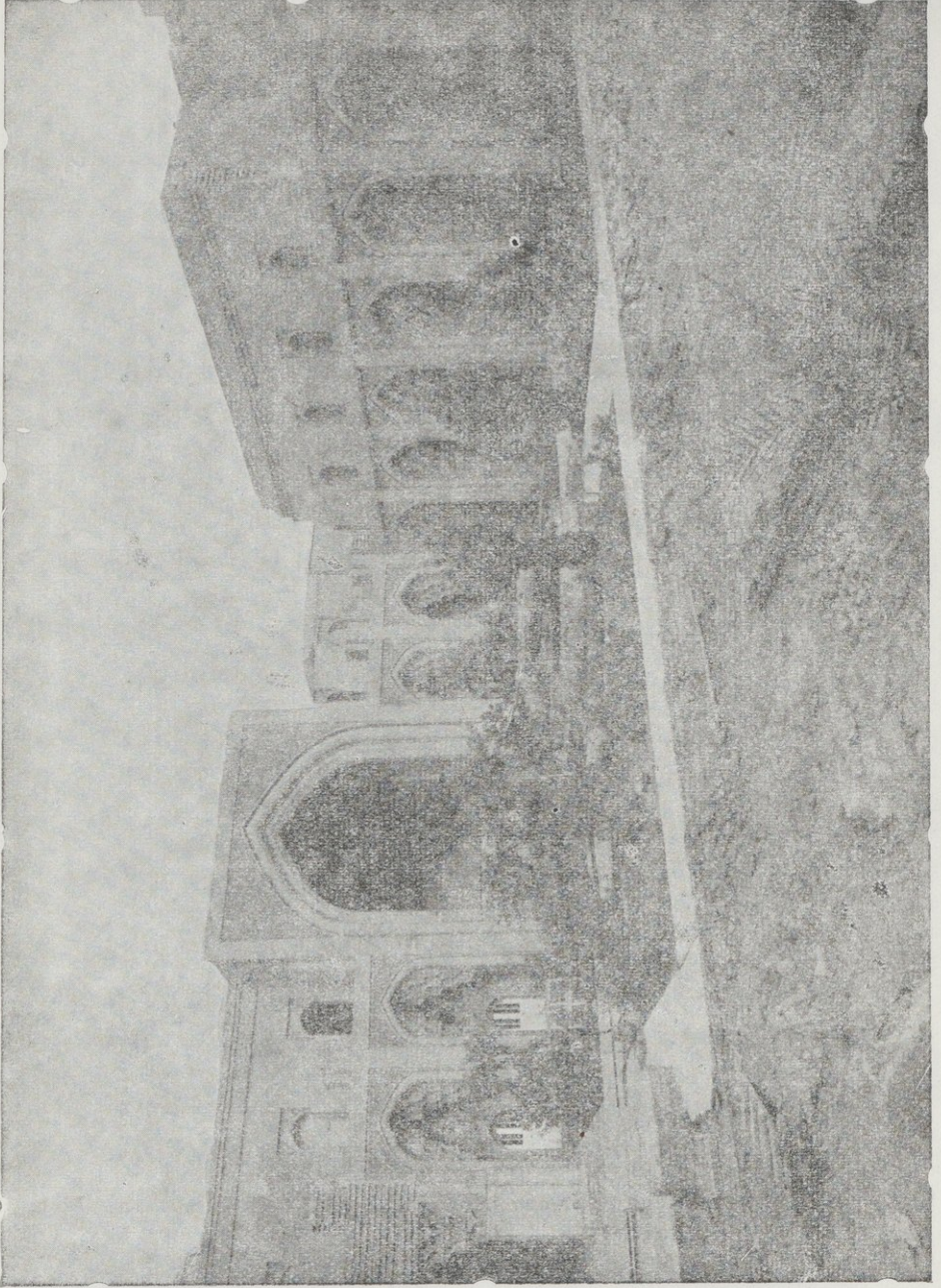
مقطع افقي

لباب المدرسة المستنصرية: ببغداد



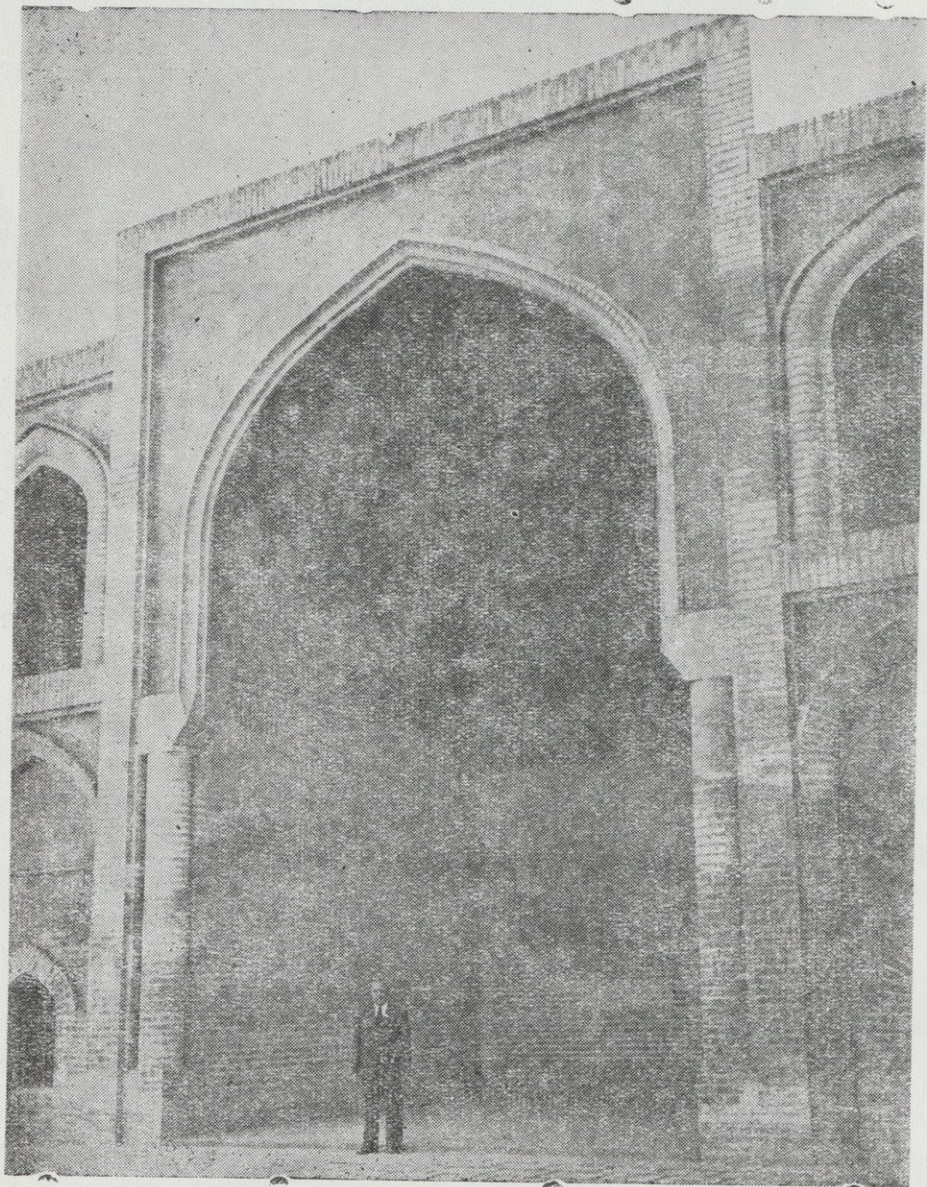
اللوحة (١٠)

ايوان المدرسة الشرايية : وهو طاق كبير عال ، مدب ، مفتوح على الصحن من جهته الامامية . وهو يشبه ايوان المرجانية وأواوين المستنصرية من حيث السعة والارتفاع والزخرفة . وسقف الايوان بيضى الشكل مثل سقوف الاواوين الاخرى فى المستنصرية والمرجانية . وهو مزين بزخارف تعلو عن الارض ثلاثة أمتار ونصف المتر . والقسم المزخرف من الجدران يبرز عن أقسام الجدران السفلى على هيئة افريز جميل . ان هذا الايوان وايوان المرجانية وأواوين المستنصرية بهيأتها وارتفاعها توازى ارتفاع الطابقين ، وتتشابه كلها فى حجمها . ويبلغ سمك هذا الايوان أكثر من ٩ أمتار وطوله ثمانية أمتار ونصف المتر وعرضه ٥ أمتار . وعلى طرفى الايوان تقع بيوت الطلبة فى الطابقين كما هو الحال فى المدرستين : المستنصرية والمرجانية .



اللوحي (١١)

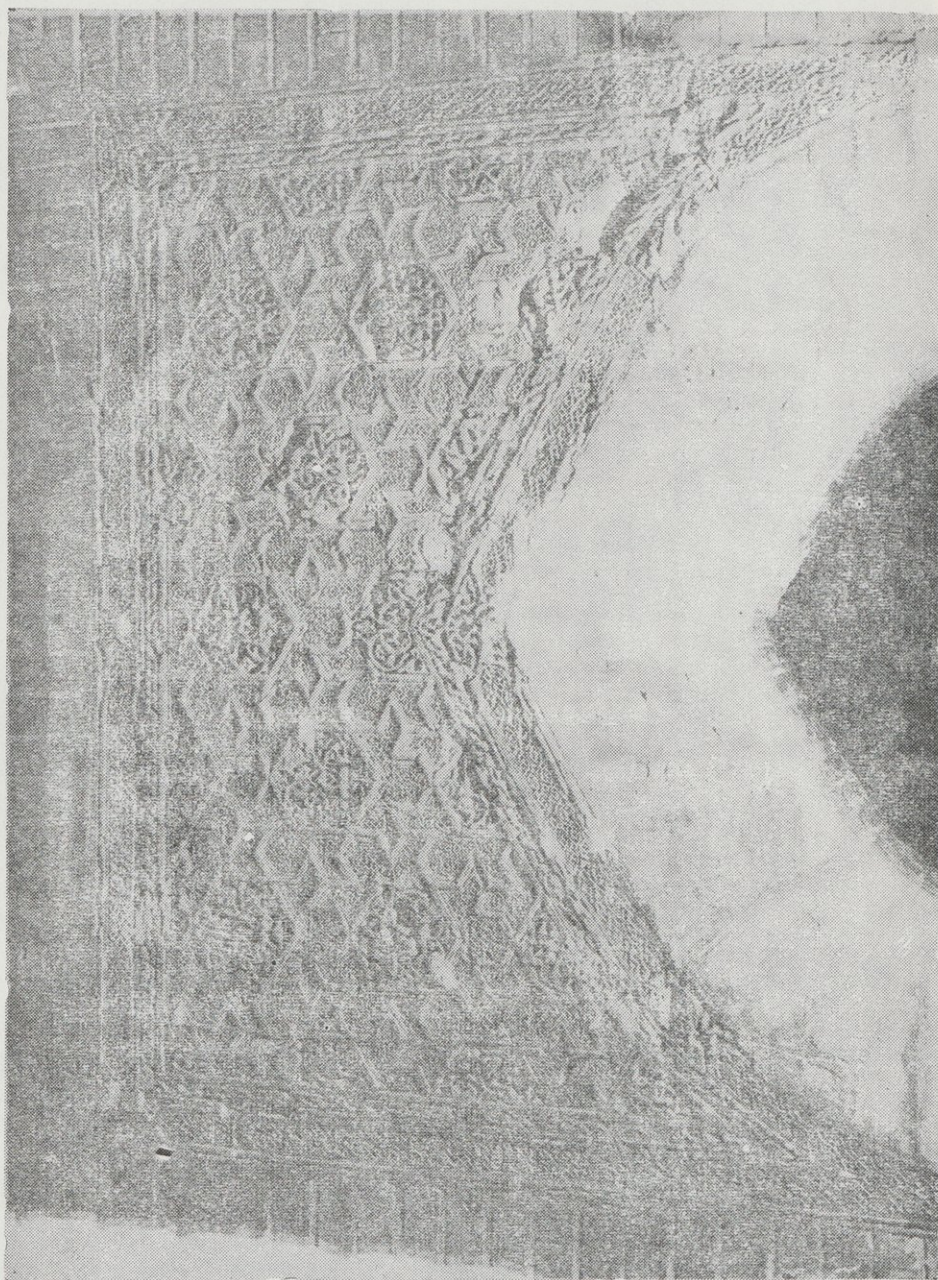
أحد أوأوين المستنصرية وهو مفتوح على الصحن من جهته الامامية .
وهو يشبه ايوان المرجانية ، وايوان الشرايية من حيث الشكل ، والسعة ،
والارتفاع ، وتنوع الزخرفة ، وارتفاع هذه الزخرفة عن الارض . ويبلغ
ارتفاع الاواوين أكثر من تسعة أمتار وعرضها يزيد قليلا على ستة أمتار
وطولها أكثر من سبعة أمتار . وهي كايوان الشرايية زخرفت بطون
عقودها ، وصدورها المطللة على الصحن بزخارف آجرية جميلة ومتنوعة .
وعلى طرفى الاواوين تقع بيوت الطلبة فى الطابقين من هذه المدارس الثلاث .



اللوحة (١٢)

غرفة الناظر فى المدرسة الشرايية

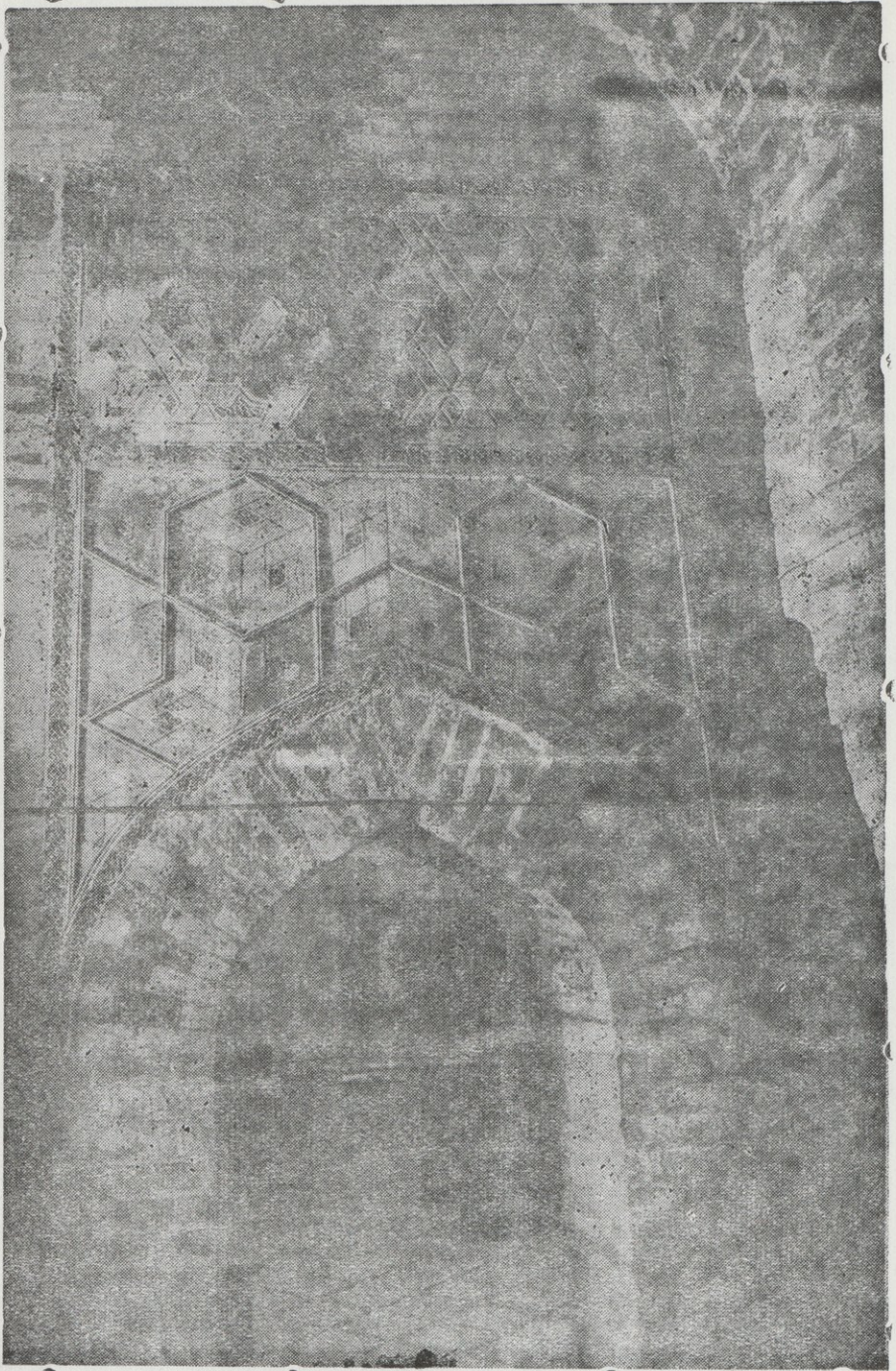
يلاحظ وجود زخارف آجورية فى أعلى القاعة (ق ١)
من مخطط الطابق الاول من المدرسة الشرايية (اللوح ١ و ٣)
وهذه القاعة هى أول قاعة من قاعات المدرسة الشرايية ، مزخرف
رتاجها بزخارف آجورية جميلة جدا وهى القاعة الوحيدة التى زخرف رتاجها
بين خمس قاعات كبيرة تقع على دهليز المدرسة ، وهى تشبه من حيث شكل
التخطيط ، وزخرفة رتاجها القاعة (هـ) احدى القاعات الكبرى التى تقع
على دهليز المستنصرية . وهذه أيضا هى القاعة الوحيدة التى زخرف رتاجها
بين سبع قاعات كبرى فى المستنصرية بزخارف آجورية مما يدل على ان
القاعتين كانتا تستعملان لغرض واحد . ويلاحظ ان كلا منهما تطل على
مجازى يفضى الى رحبة المدرسة (راجع اللوحين ١ و ٦) .



اللوحي (١٣)

غرفة الناظر في المدرسة المستنصرية

ان القاعة (هـ) في الطابق الاول من المستنصرية (المخطط ٦) تؤلف
احدى القاعات الكائنة في دهليز المستنصرية ، وتواجه المجاز الذى يتصل
بصحن المدرسة ، وهذه هي القاعة الوحيدة التى زخرف رتاجها بين سبع
قاعات كبرى . مما يدل على انها كانت للناظر فى مصالح المستنصرية .
وهى تشبه القاعة (ق ١) فى المدرسة الشرايية (المخطط ٢) من حيث
التخطيط ، وزخرفة الرتاج . مما يفيد ان القاعتين فى المدرستين المذكورتين
كانتا تستعملان لغرض واحد ، ويشير بوضوح الى ان (المخطط ١) كان
مدرسة وليس قصرا ولا دارا .



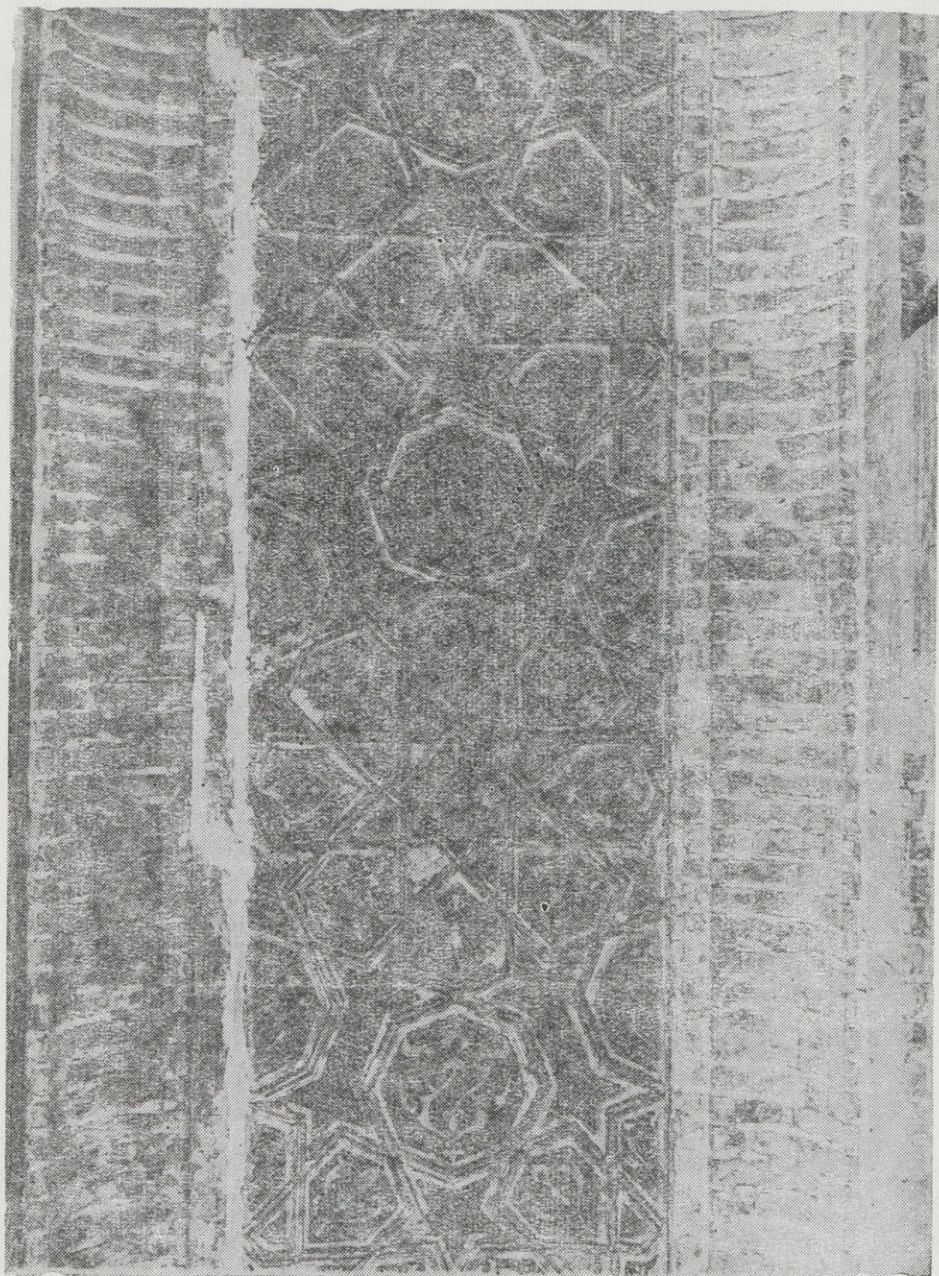
اللو ح (١٤)

زخارف السقف فى مدخل المدرسة الشرايية وهى تتكون من سلاسل
آجرية مزخرفة على هيئة صلبان معقوفة وهى بذلك كزخارف المستنصرية
غير ان العقفة فى صلبان المستنصرية قائمة الزاوية ، وفى المدرسة الشرايية
حادثها • وتحترض هذه الصلبان المعقوفة أشكالاً هندسية مزخرفة بشتى
أنواع الزخرفة كما تحترض نجوما مزخرفة أيضا •



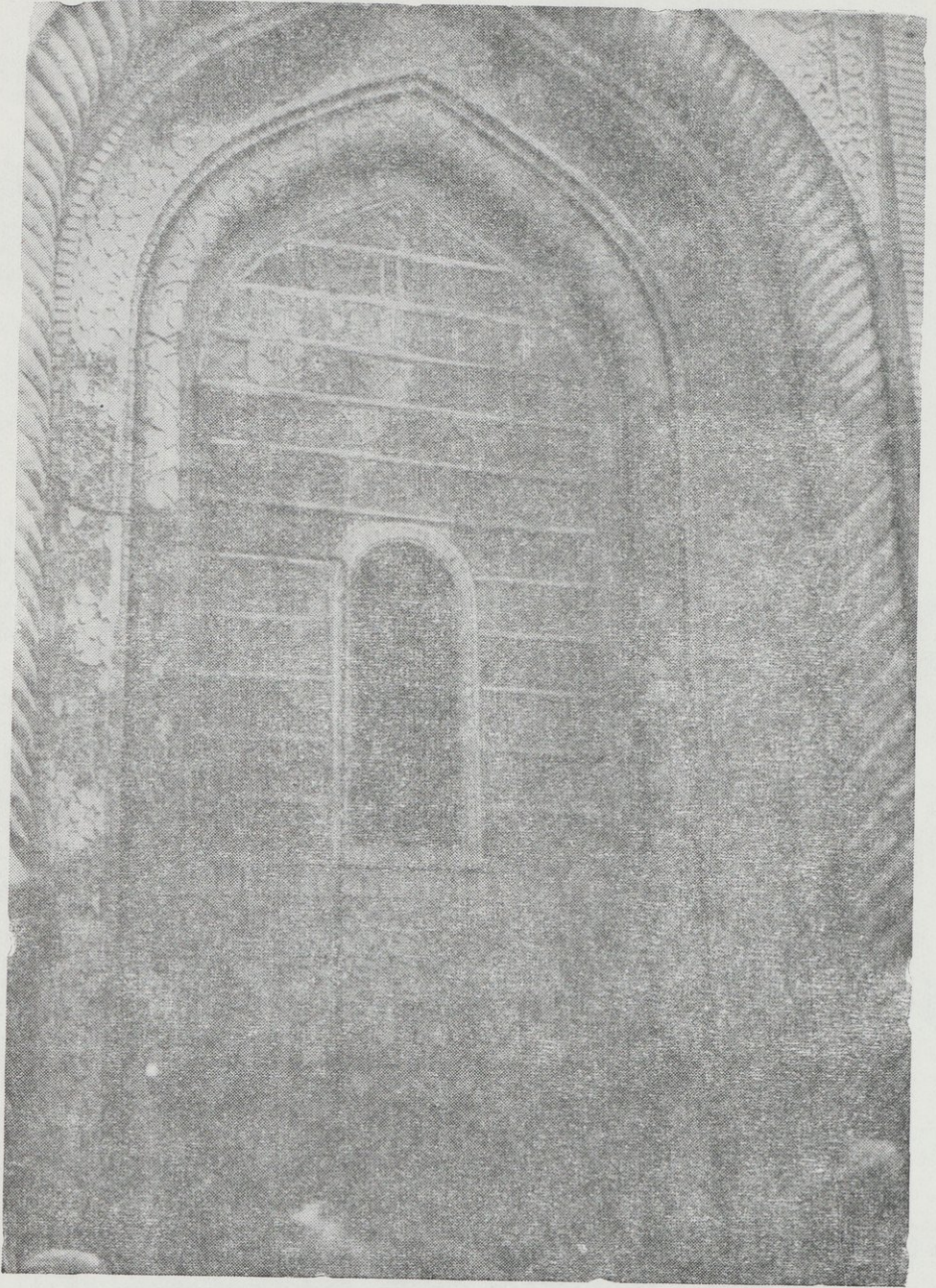
اللوحة (١٥)

زخارف آجرية غاية في الدقة والاتقان تكون جانبا من الزخارف
السقفية في مجاز المدرسة الشرايية . وتظهر فيها صلبان متقاطعة تؤلف
نجوما خمسة واخرى مثمانية مختلفة الزخارف والمناظر ، وهي تشبه ما في
المرجانية والمستنصرية من زخارف آجرية من حيث الشكل والتنوع
والاتقان .



اللوحي (١٦)

الباب الرئيس في المدرسة المرجانية • وهو يشبه باب المستنصرية ويقاربه من حيث الارتفاع ، والسعة ، والزخرفة والكتابة الآجرية • وفوقه كتابة مزخرفة • كما زخرف أعلاه ، وجانباه وجبهته المطلّة على رحبة المدرسة • وهو كباب المستنصرية ، والشرابية يفضى الى مجاز أنيق كمجاز الشرايية • والمدخل يؤدي الى الرحبة وإلى بعض الحجرات والردهات •



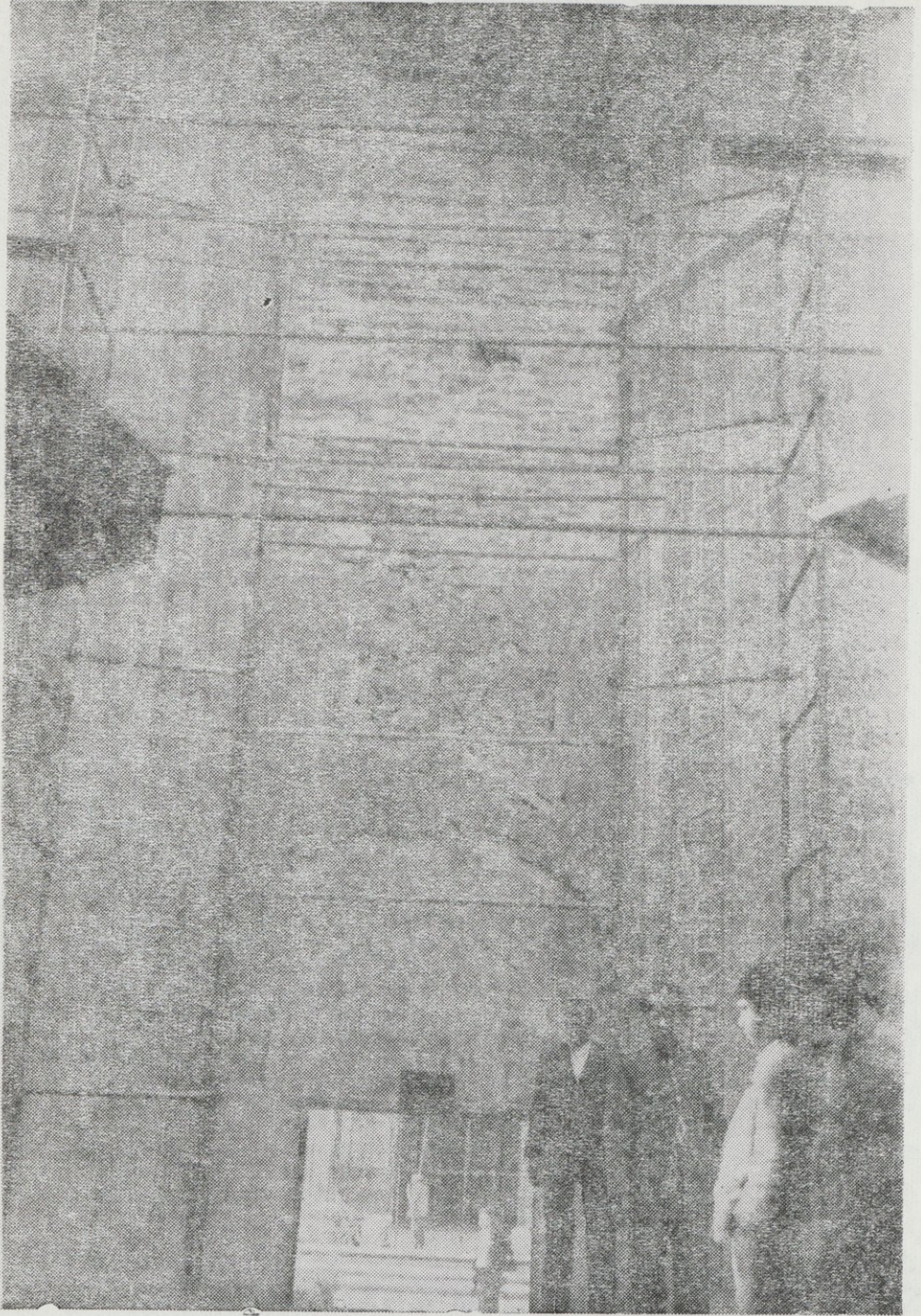
اللوحة (١٧)

الباب الرئيسى فى المستنصرية ، وهو مدخل رفيع مزخرف أعلاه ، وجانباه من الخارج بزخارف آجرية رائعة • وعقد المجاز الذى يقضى اليه منه كأنه أحد أوأوين المدرسة وهو مزخرف من باطنه ومن جبهته المطلة على رحبة المدرسة • وكانت على هذا المدخل كتابة آجرية بالخط النسخى ، محشاة بزخارف آجرية فنية فى منتهى الجمال • والعمل جار على إعادة هذه الكتابة الى مكانها فوق الباب • والمدخل يقضى الى الرحبة مباشرة • وزخارفه الملتفة على العمودين المندمجين فى ركنى المدخل تشبه السلاسل الزخرفية التى تزين السقف فى مجاز المدرسة الشرايية • ويلاحظ فى الزخارف التى بين الكتابة التى فى أعلى الباب وبين عقد المدخل آية قرآنية محفورة فى الآجر على الشكل التالى :

• الابواب

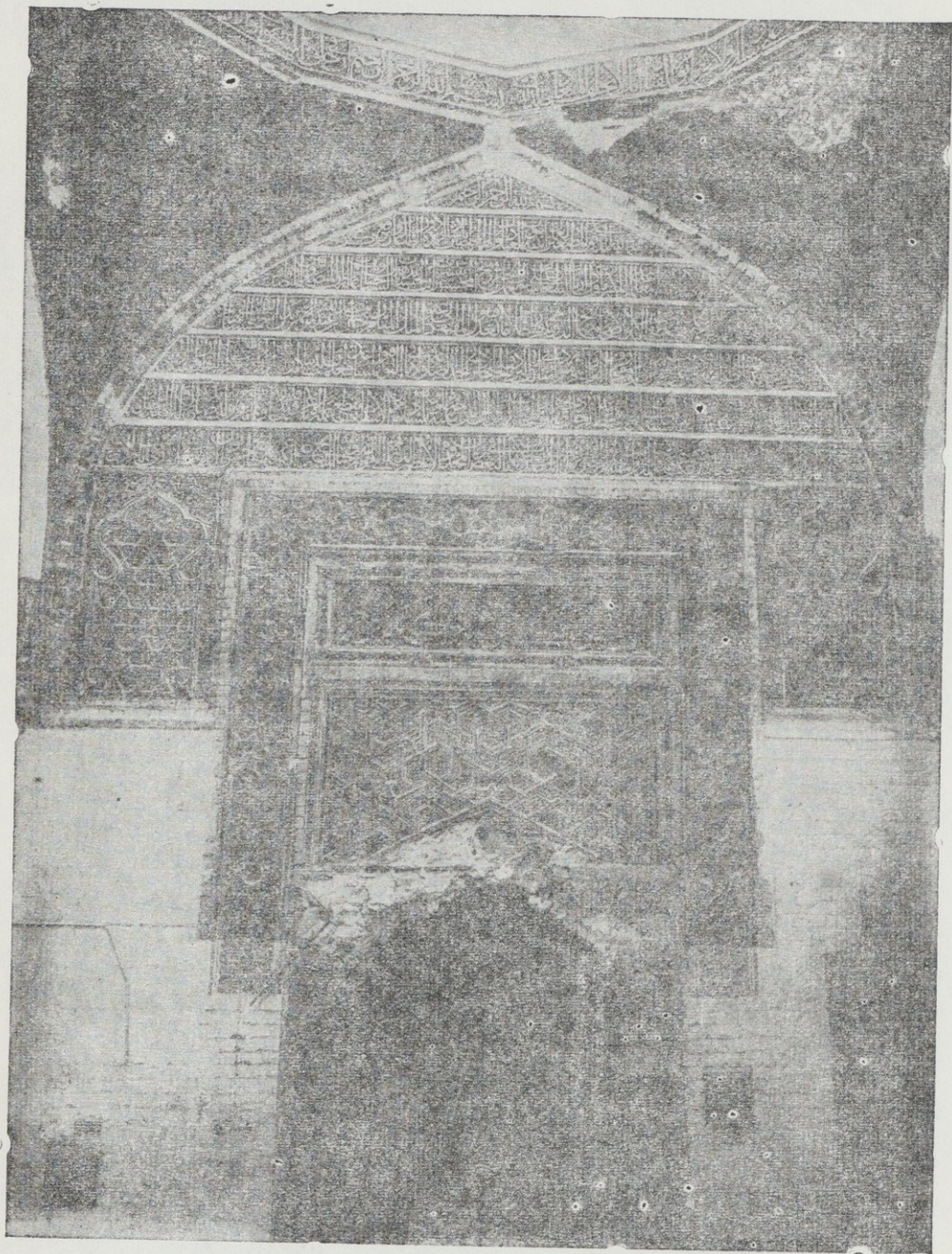
جناات عدن

مفتحة لهم



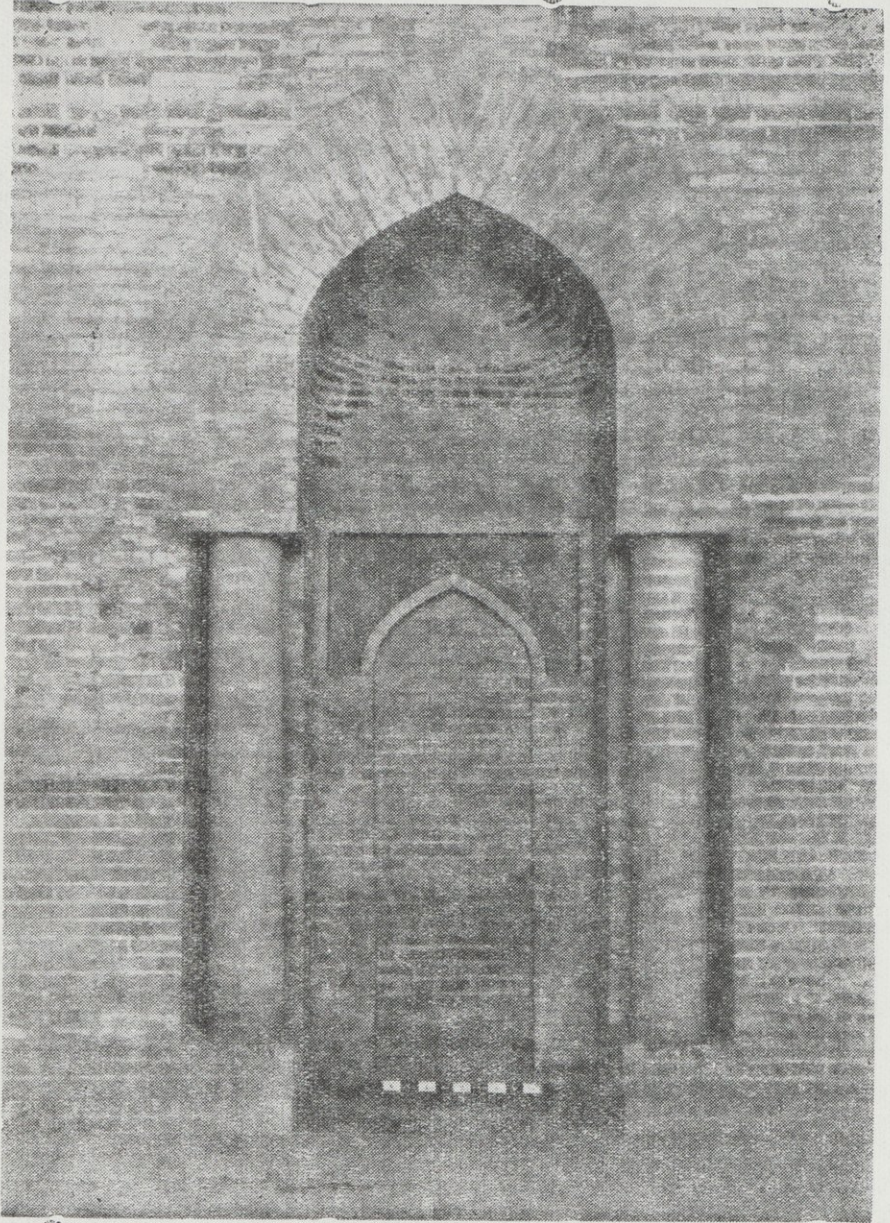
اللوحي (١٨)

أعلى المحراب في المدرسة المرجانية • وهو مزخرف بالزخارف الآجرية المختلفة • وفوق الزخارف كتابات نسخية جميلة ثبتت فيها الوقفية من عهد مرجان مؤسس المدرسة المرجانية • والكتابة محوطة بالزخارف الآجرية التي لا تتناهى • ولعل مسجدي المدرستين الشرابية والمستنصرية كانا غنيين أيضا بمثل هذه الزخارف قياسا على ما نراه من الثروة الزخرفية في أووينهما والجبهات المطلّة على صحنيهما •



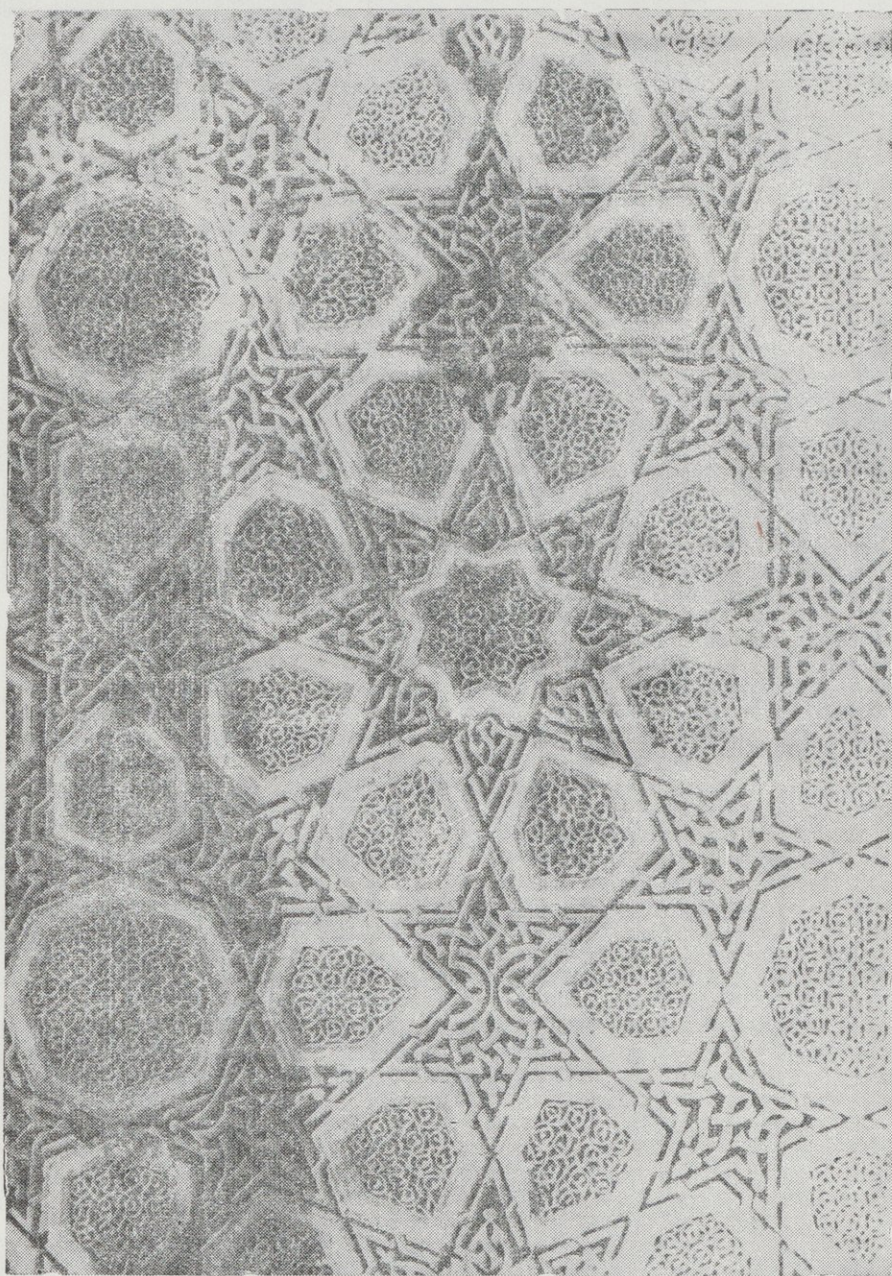
اللوحي (١٩)

محراب مسجد المستنصرية • وهو خال من الزخارف • ولعل استعمال المدرسة للأغراض العسكرية وخزن البضائع التجارية عدة قرون أدت إلى تخريب كثير من معالمها ومنها المسجد الذي طمست زخارفه • ولو لم تستر أكثر الزخارف في أوامير المدرسة بطبقة من الجص لاصابها التلف والدمار أيضا • ويلاحظ ان الزخارف الآجرية الرائعة في المرجانية انما حفظت بفضل تبييضها بطبقة من الجص أيضا • ولما كانت العناية بمصليات المدارس بالغة كما يشاهد ذلك في مسجد المرجانية فانه ينبغي ان يكون مسجد المستنصرية أكثر غنى بزخارفه ونقوشه لاسيما وان المؤرخين يجمعون على ان المستنصرية لم يبن لها نظير في الدنيا • وربما كانت فوق هذا المحراب زخارف وكتابات دونت فيها وقفية المستنصر على غرار ما هو موجود فوق محراب المرجانية بالإضافة إلى الكتابات الكثيرة التي كانت على جدرانها الخارجية • ويظهر ان الخسفة الواسعة التي تحيط بالمحراب اليوم كانت مملوءة بالكتابة والزخارف البارزة عن الجدران بروزا قليلا • ومثل ذلك يمكن ان يقال عن مسجد المدرسة الشرايية الذي لم يبق منه الا اسسه •



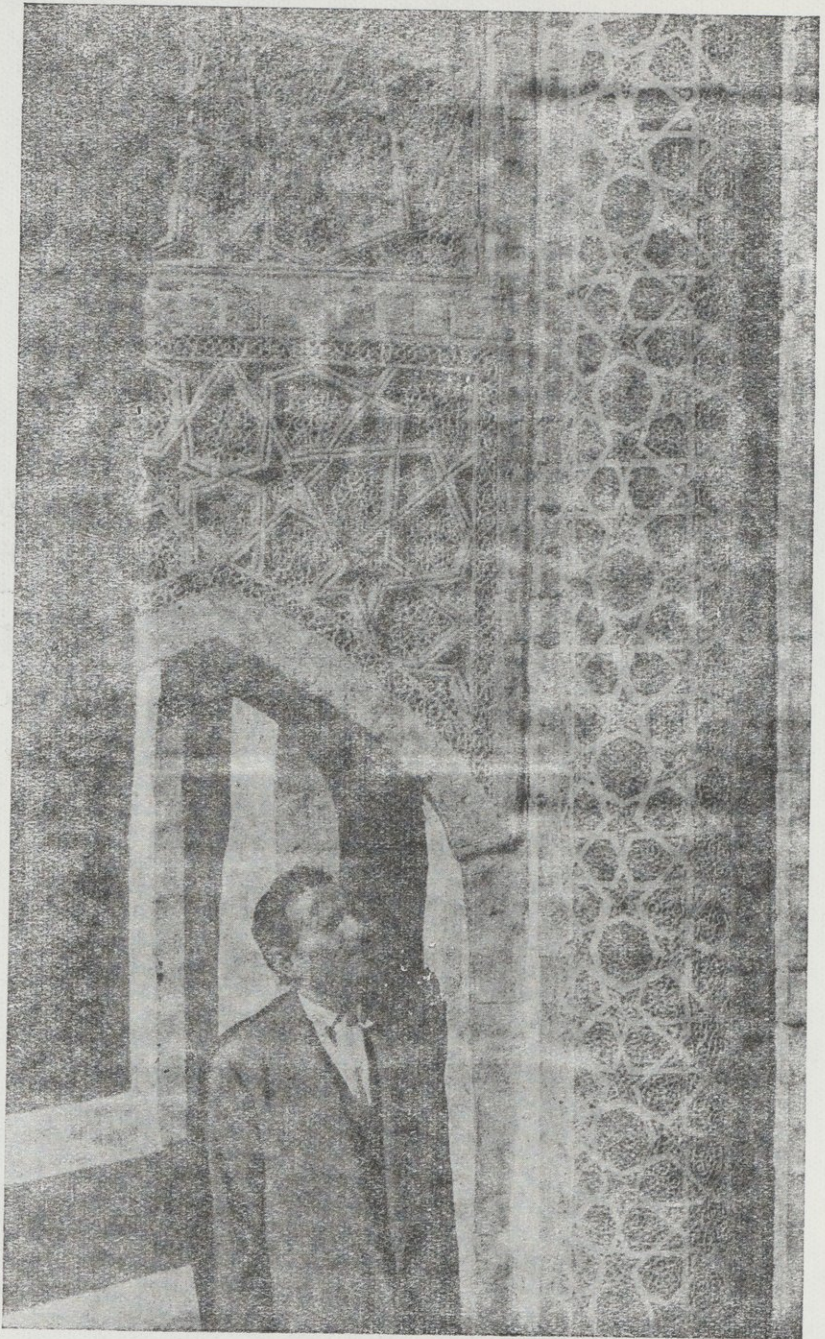
اللو ح (٢٠)

تفاصيل الزخارف الآجرية فى المدرسة الشرايية حيث تظهر النجمة
المخمسة ، والمثمنة بأشكالهما المختلفة وزخارفهما المتنوعة • وهذه الزخارف
تشبه زخارف المدرستين : المستنصرية والمرجانية شبةا تاما • مما يدل
على ان المدارس كانت تبنى على طراز معين ومخططات متشابهة •



اللو ح (٢١)

نماذج من الزخارف الآجرية فى المدرسة الشرايية تتكون من سلسلتين
من النجوم الخماسية المتصلة بنجوم ثمانية • وكلها مزخرفة أيضا • وهى
تشبه تمام الشبه زخارف المدرستين : المرجانية ، والمستنصرية من حيث
الشكل ، والدقة ، والاتقان •



اللوحي (٢٢)

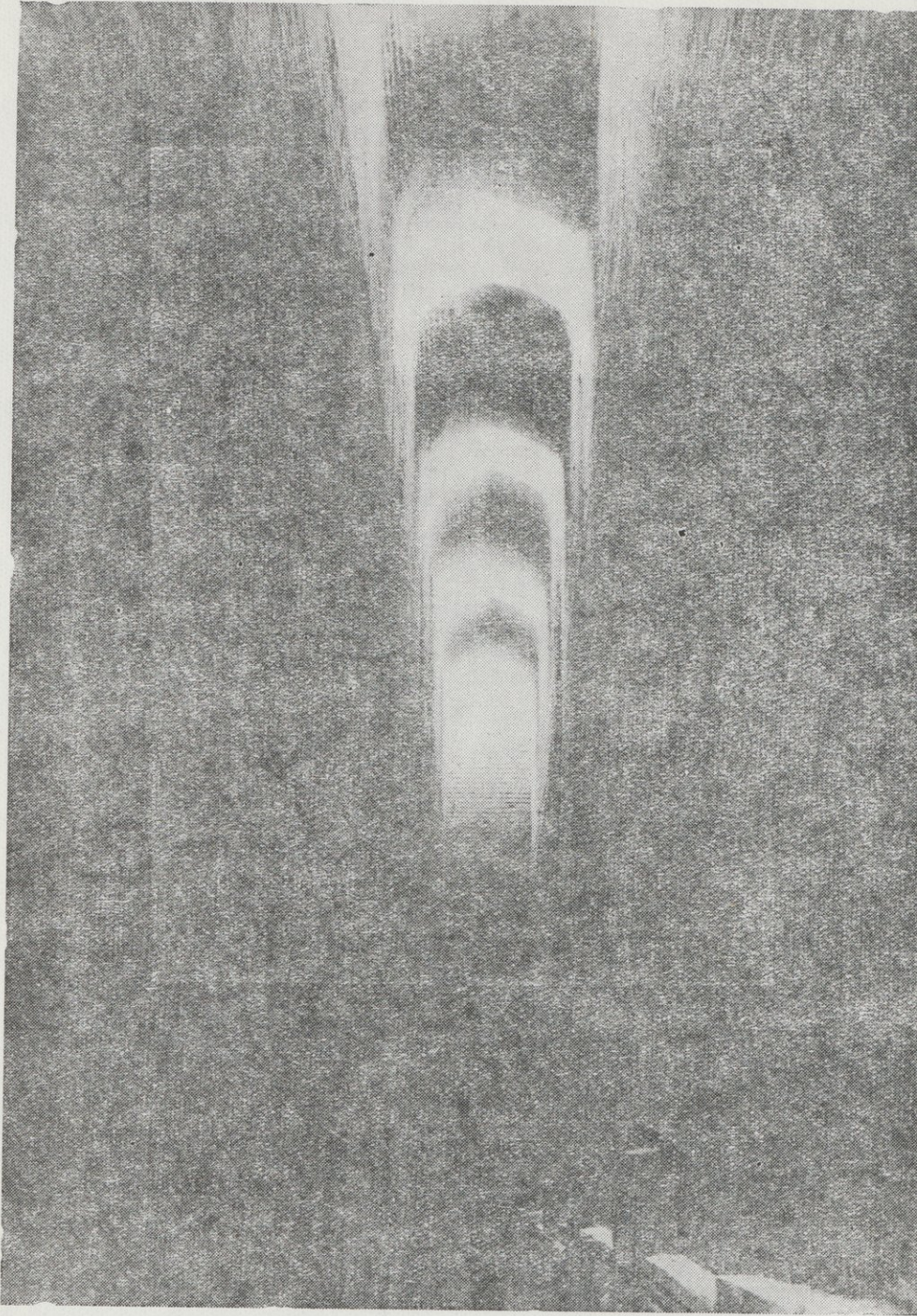
زخارف آجرية هندسية وزهرية في ايوان دار القرآن المستنصرية ويشاهد فيها الصليب المعقوف وهو من مزايا الزخرفة العربية في العراق حتى اليوم في المساجد ، والمآذن ، والقصور ، والدور ، والاسواق . كما يشاهد في هذا الايوان زخارف على هيئة نجوم مختلفة الاشكال تماثل زخارف المدرستين : الشرايية والمرجانية تماما . وقد اعيد ترميم هذا الايوان فظهر شاهقا كأواوين مدرسة الفقه المستنصرية ، ولا يزال العمل قائما فيه لازالة التشويهات التي اصابته عندما كان دكانا « للكا هي » وللسراجة .

اللوحي (٢٢)



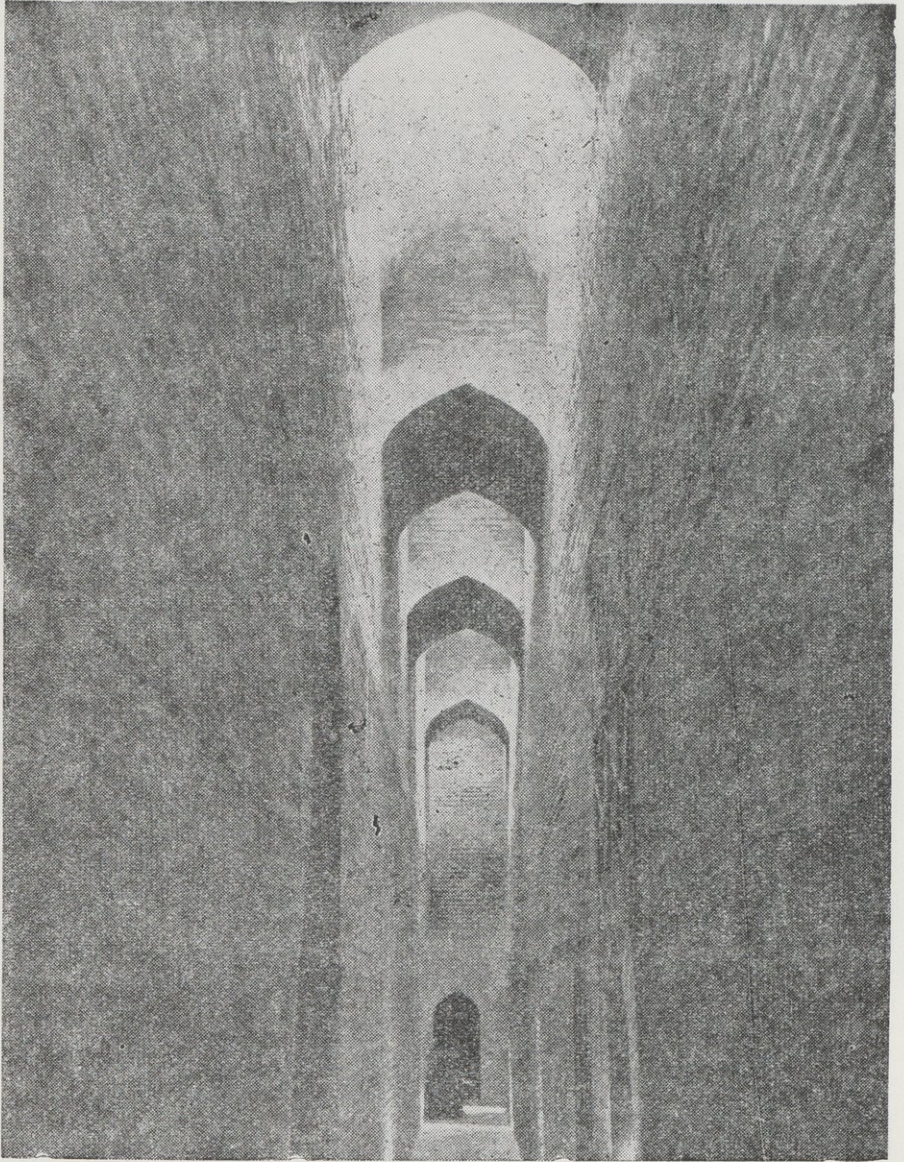
اللوحة (٢٣)

دهليز المدرسة الشرايية • والدهليز من مزايا الرياضة العربية في العراق • ويظهر انه كان يستعمل فاصلا بين قاعات الدراسة أو ردهات دور الكتب وبين صحن المدارس ورحابها حيث تكثر ضوضاء الطلاب • وهو يشبه تمام الشبه دهليز المستنصرية من حيث الارتفاع والسعة ، ووقوع القاعات الكبرى في حده الاسفل • وطول الدهليز ٢٦ مترا و٧٠ سنتمترا • وعرضه متر و٢٨ سنتمترا وارتفاعه تسعة أمتار وعشرون سنتمترا وهو يتصل برحبة المدرسة بمجازين متوازيين يقعان على طرفيه ويشكلان معه الحرف U وهما بذلك بشبهان تماما المجازين اللذين يقعان على طرفي دهليز المستنصرية • (راجع المخططين ٥ و ٦) •



اللوحة (٢٤)

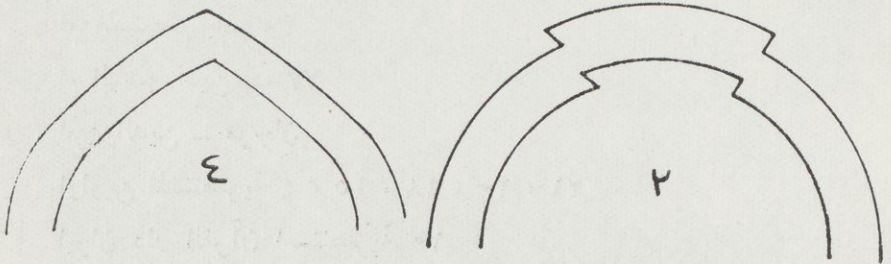
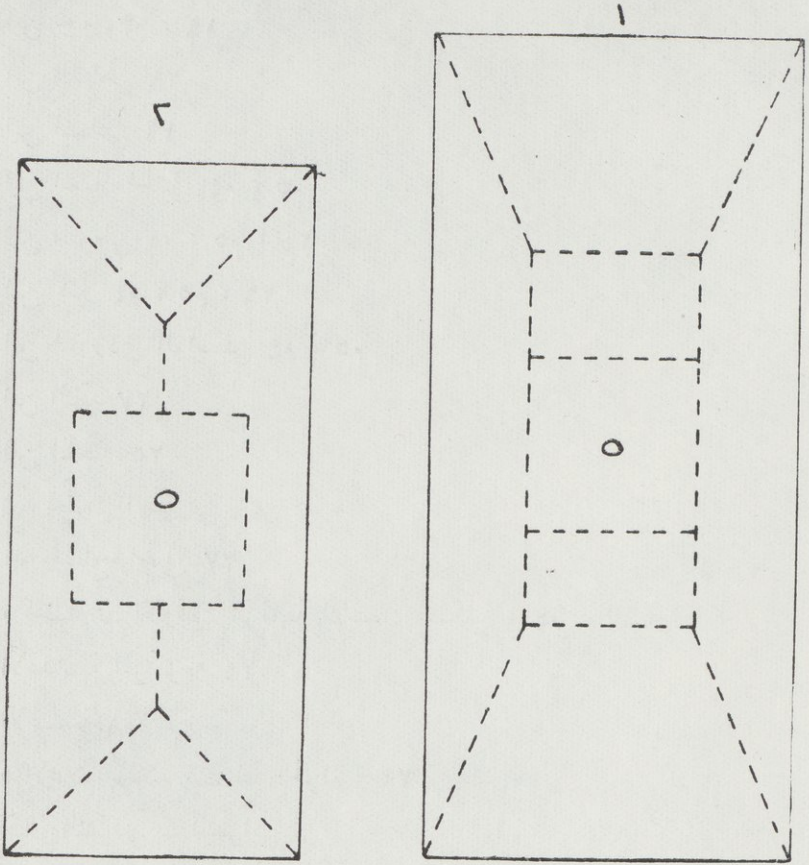
دهليز المستنصرية وهو يشبه تمام الشبه دهليز المدرسة الشراعية وهو مثله يتكون من عدد من الكوى السقفية والعقود الصغيرة في أعلاه . وكلاهما بارتفاع طابقي البناء ، وعلى كل منهما تقع القاعات الكبرى التي كانت تتخذ فيما يظهر للدراسة ، ولخزن الكتب ، والمطالعة ، والاستنساخ ، ودراسة الحديث . وطول دهليز المستنصرية ٣٤ مترا و ٤٠ سنتمترا . وعرضه متر وأربعون سنتمترا . وارتفاعه تسعة أمتار . وهو يتصل برحبة المدرسة بمجازين متوازيين يقعان على طرفيه ويشكلان معه الحرف U وهما بذلك يشبهان تماما المجازين الذين يقعان على طرفي دهليز الشراعية . راجع اللوح ٦ .



المخطط (٢٥)

طراز التسقيف فى المدرسة الشرايية والمستنصرية والمرجانية واحد فى الرداء الكبرى التى اتخذت للدراسة أو لآزن الكتب وهى اما على الطراز المرقم (١) وهو المعروف بـ « المدنى » أو على الطراز المرقم (٢) وهو المعروف بـ « الدور » ويلاحظ فى هذه القاعات وجود كوى سقفيه للنور والتهوية اشير اليها بالرقم (٥) كما يلاحظ ان سقف الاواوين فى المدارس الثلاث وسقوف المجازات والدهاليز كلها من النوع المعروف بـ « الدور » . واما عقود الابواب فتجمع بين الشكلين بوجه عام لان كل باب يتكون من عقد خارجى مدبب كما فى الرقم (٤) وهو المعروف بـ « الدور » ومن عقد داخلى كما فى الرقم (٣) وهو المعروف بـ « المدنى » .

المخطط (٢٥)



فهرس عام للاشخاص ، والامكنة ، والكتب

« أ »

- ابن جبر ٣ م ، ١٩
ابن الدباهى ٢٩
ابن الساعى ٢٩
ابن العماد الحنبلى ٤ م ، ٥ م
ابن الفوطى ٤ م ، ٥ م ، ٢٤
ابن كثير ٤ م ، ٥ م ، ٢٦
ابن الماوردى الواسطى ٤ م ، ٥ م
ابن الناقد ٢٧
ابن النجار ٢٥
ابو حفص الدورقى ٢٩
ابو صالح الجبلى ٢٧
« اختيارات الاوقات الزمانية للاعمال الكلية » ٤ م
الاعدادية المركزية ٢٤
الاعظمية ٨ م
« الاعلام باعلام بيت الله الحرام » ٢٩
اقبال الشرابى - الشرابى
امانة العاصمة ٧ م
ام المستعصم بالله ٣٠
ام الناصر لدين الله ٢٧
امين الدين - مرجان
اواوين المستنصرية ٤ ، ١٥ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢١
ايوان دار القرآن المستنصرية ٢٠
ايوان القصر العباسى ٤ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ٢٧
ايوان كسرى ١٤

« ب »

باب البدرية ٢٩

باب السلام ٢٩

باب سوف السلطان ٢٦ م ، ٧ م ، ٢٣

باب المعظم ٥٥ م ، ٦ م ، ٧ م ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٦

باب النوبي ٢٩

بخارا ٥٥ م

باريس ٤

بغداد ٣ م ، ٤ م ، ٥ م ، ٦ م ، ٧ م ، ١ ، ٢ ، ٣ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ،

١٩ ، ٢٠ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٣٠

« بقايا القصر العباسي » ٢ ، ٣

بنو نصر ١٠

بهو أمانة العاصمة ٢٦

« ت »

تاج الدين الارموى ٢٧

« تاريخ علماء المستنصرية » ٨ م ، ٢ ، ٢٧

تتر (الامير) ٧

« تلخيص مجمع الآداب » ٥٥

« ج »

جامع ابى دلف ٩

جامع الآصفية ١٤

جامع الحجاج ٧

جامع سوق السلطان ٥٥ م ، ٧ م ، ٢ ، ٢٥ ، ٢٦

جامع القصر ٣٠

جامع القلعة ٦ م ، ٧ م ، ٢ ، ٢٦

جامع المتوكل ٩

جامع المستنصرية ١١ ، ٢٠
جريدة البلاد ٥
الجنيد البغدادي ٢٨
« الجواهر المضية » ٢٥

« ح »

الحجاج ٢٥
الحلة ٣٠
« الحوادث الجامعة » ٤م ، ٥م ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩
الحيرة ١٠
الحيرى ١٠

« خ »

خان ابى زياد ٥م
خان زياد ٥م
خراسان ٥م
الخطيب البغدادي ٥م

« د »

دار تتر ٧
دار الخلافة فى سامراء ٩ ، ١٠
دار الضباط ٢٤
دار القرآن المستنصرية ١٤ ، ١٩
دار المسناة ٤م ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٩ ، ١٠
الدار المعزية ١٠
درب الملاحين ٥م ، ٦م ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧
دي بيليه (الجنرال) ٤
« دليل بناية المتحف الاسلامى » ٤

« ز »

رباط الشرابى بمكة ٢٩

رشيق الشرايى ٢٨

« س »

ساطع الحصرى ٣

سامراء ١٠ ، ٩ ، ٨ ، ٥

السكة خانة ٢

سلمان پاك ١٤

سليمان باشا ١٢

سوق السلطان ٤ م ، ٥ م ، ٦ م ، ٧ م ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧

سوق العجم ٥ م ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٦

سوق العميد ٦ م ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥

سوق الميدان ٧ م ، ٢٦

السهروردي (أبو النجيب) ٢٤

« ش »

شارع الرشيد ١٩

الشارع الاعظم ببغداد ٥ م

الشارع الاعظم بسامراء ١٠ ، ٢٥

الشرايى ٣ م ، ٤ م ، ٦ م ، ١ ، ٤ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩

شمس الدين أبو الازهر (راجع ابن الناقد)

الشونيزي ٢٨

« ظ »

الظاهر بالله ٢٧ ، ٢٨

« ع »

عبدالرحمن بن مقبل ٢٧

عثمان بن عبدالله ٥ م

عثمان بن عفان (ر) ٥ م

عثمان فوزى اولجاي ٤ م

العراق ٣ ، ١٤

عزالدين نجاح الشرايى ٢٨

علاءالدين التركستانى ٢٤

علاءالدين الطبرىسى الدويدار ٢٩

على بن اسحق المخرمى ٣٥

على بن عمادالدين ٤٤م

عيسى بن على ١١

العماد الحنبلى ٤٤م ، ٢٥

عين عرفة ٣٠

« ف »

فخرالدين الرازى ٢٧

فيوليه (هنري) ٣ ، ٤ ، ١٨

« ق »

قصر باب الذهب ١٠

قصر التاج ١٠

قصر الثريا ١٠

القصر الجعفرى ١٠

القصر الحسنى ١٠ ، ١١

قصر الحويصلات ٩

قصر الخلد ١٠ ، ١١

قصر الذهب ١٠

قصر الرصافة ١١

القصر العباسى ٦م ، ٧م ، ١ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٩ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ،

١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٦

قصر الفردوس ١٠

قصر القرار ١٠

قصر المعتز ١٠

القصر المعشوق ١٠ ، ١١

القصر المنقور ١٠

قطب الدين الحنفى ٢٩

قلعة بغداد ٣م ، ٧م ، ١٠م ، ٢٠م ، ٣٠م ، ٥٠م

الكاظمية ٢٧

« ك »

الكرخ ٢٨

كور كيس عواد ٤م

كوى خردمندان ٥م

« م »

ماسنيون (لويس) ٤

ما وراء النهر ٥م

« مباحث عراقية » ٣ ، ٥

المتوكل على الله ١٠

مجاز القصر العباسى ١٩

مجلة اهل النفط ٥

مجلة التقيض ٣ ، ٥ ، ٦ ، ١٢

مجلة سومر ٤ ، ٦

مجلة لغة العرب ٣

محلة سوق السلطان ٥م ، ٢٥

محلة المخرم ٥م

محلة الميدان ٥م ، ٦م ، ٢٣م ، ٢٥

محمد بن الحسن الارموي (راجع تاج الدين الارموي)

محمد بن محمد البلخى ٢٥

محمد الواعظ ٢٧

محمود العينه جي ٨م

محي الدين بن فضلان ٢٧

المدائن ١٢

المدرسة الزيتونية ٢٣ ، ٢٤

المدرسة السلیمانیة ۲۴

المدرسة الشاطئة ٢٤

المدرسة الشرايية ٣م ، ٤م ، ٥م ، ٦م ، ٧م ، ١ ، ٤ ، ١٦ ، ٢٢ ، ٢٣

۲۸ ، ۲۶ ، ۲۵ ، ۲۴

المدرسة العلائية ٢٣ ، ٢٤

المدرسة المرجانية ٣م، ٧م، ٤، ٦، ٩، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٨،

२०, २३, २२, २१, २०, १९

المدرسة المستنصرية ٣م، ٧م، ٤، ٦، ٩، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥،

۲۳، ۲۲، ۲۱، ۲۰، ۱۹، ۱۸، ۱۷، ۱۶

المدرسة النجسة ٢٣ ، ٢٤

المدرسة النظامية ٦

مديرية الآثار العامة ٤م، ٨م، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ١٣

مرجان ۳۳

مديرية الاوقاف ٣م ، ٢٠

المستعصم بالله ٣٨ ، ٢٩

المستنصر بالله ٣١ ، ١ ، ٤ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩

مدرسة الفقه المستنصرية ١٤

المسجد الحرام ٢٩

مسجد الشراية ٢٠

سعود (السلطان) بن محمد بن ملكشاه السلجوقي ٧

المسعودی ۱۰

مصطفیٰ جواد ۴م، ۳، ۴، ۵، ۶، ۷، ۲۵

صلى المرجانية ٢٠ ، ٢١

لمعتز ۱۰

لمقتضى الامر الله ٢

۲۹ و ۲۵ اک

« ن »

ناجى الاصيل (الدكتور) ٤

ناجى معروف ٨

الناصر لدين الله ٤م ، ٥م ، ٢ ، ٣ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٢٥ ، ٢٦

ناصر النقشبندى ٥

ناظم باشا ٣

نجاح الشرايى (راجع عز الدين نجاح الشرايى)

النعمى ٤م ، ٢٥ ، ٢٦

نهرين ١١

نهر دجلة ١١ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٩

نهر المعلى ١١

نهر موسى ١١

نهر المهدي ١١

« و »

واسط ٥ ، ٧ ، ٩ ، ٢٥ ، ٢٩

وزارة الدفاع ١ ، ٢

« ه »

هولاكو ٣م

« ي »

ياقوت الحموى ١١

يعقوب سر كيسى ٣ ، ٥ ، ٦

يوسف غنيمة ٤

الفهرس

الموضوعات

الصفحة

المقدمة

م ٣-٨

الفصل الاول

١	براهين فنية تثبت ان « القصر العباسى » مدرسة عباسية ، وليس قصرا ولا دارا
١١	١ - مخطط القصر العباسى ومقارنته بمخطط المستنصرية والمرجانية
١٢	٢ - الابواب والمداخل
١٣	٣ - الساحات والصحنون
١٤	٤ - الاواوين
١٥	٥ - المجازات والدهاليز
١٦	٦ - القاعات الكبرى
١٧	٧ - غرفة الناظر
١٧	٨ - الحجرة والغرف
١٨	٩ - الخزاف الآجرية
٢٠	١٠- المساجد والمصليات
٢١	١١- طراز التسقيف

الفصل الثانى

٢٣	١ - موقع المدرسة الشراية
٢٦	٢ - افتتاح المدرسة الشراية

الفصل الثالث

٢٨	اقبال الشراى مؤسس المدرسة الشراية
٨٣-٣٣	المخططات والالواح والشروح
٨٤	فهرس عام للاشخاص والامكنة والكتب

كتب ورسائل للمؤلف

- ١ - المطالعة العربية ٣ أجزاء بمشاركة بعض الاساتذة • بغداد - مطبعة النجاح ١٩٣٤
- ٢ - المنتخبات الادبية • بغداد - مطبعة الكرخ ١٩٣٥
- ٣ - المدرسة المستنصرية • بغداد - مطبعة دنكور الحديثة ١٩٣٥
- ٤ - تاريخ العرب • بمشاركة بعض الاساتذة • بغداد ١٩٤٩
- ٥ - موجز تاريخ الحضارة العربية بالاشتراك مع الدكتور عبدالعزيز الدوري • بغداد ١٩٤٩
- ٦ - مقدمة في تاريخ المستنصرية ، وعلمائها • بغداد - مطبعة العاني ١٩٥٨
- ٧ - علماء المستنصرية • بغداد - مطبعة العاني ١٩٥٩
- ٨ - تاريخ علماء المستنصرية • بغداد - مطبعة العاني ١٩٥٩
- ٩ - المدخل في تاريخ الحضارة العربية • بغداد - مطبعة العاني ١٩٦٠
- ١٠ - المدرسة الشراية • بغداد - مطبعة العاني ١٩٦١

THE SHARABIYA SCHOOL or The Abbasid Palace in the Baghdad Citadel

by

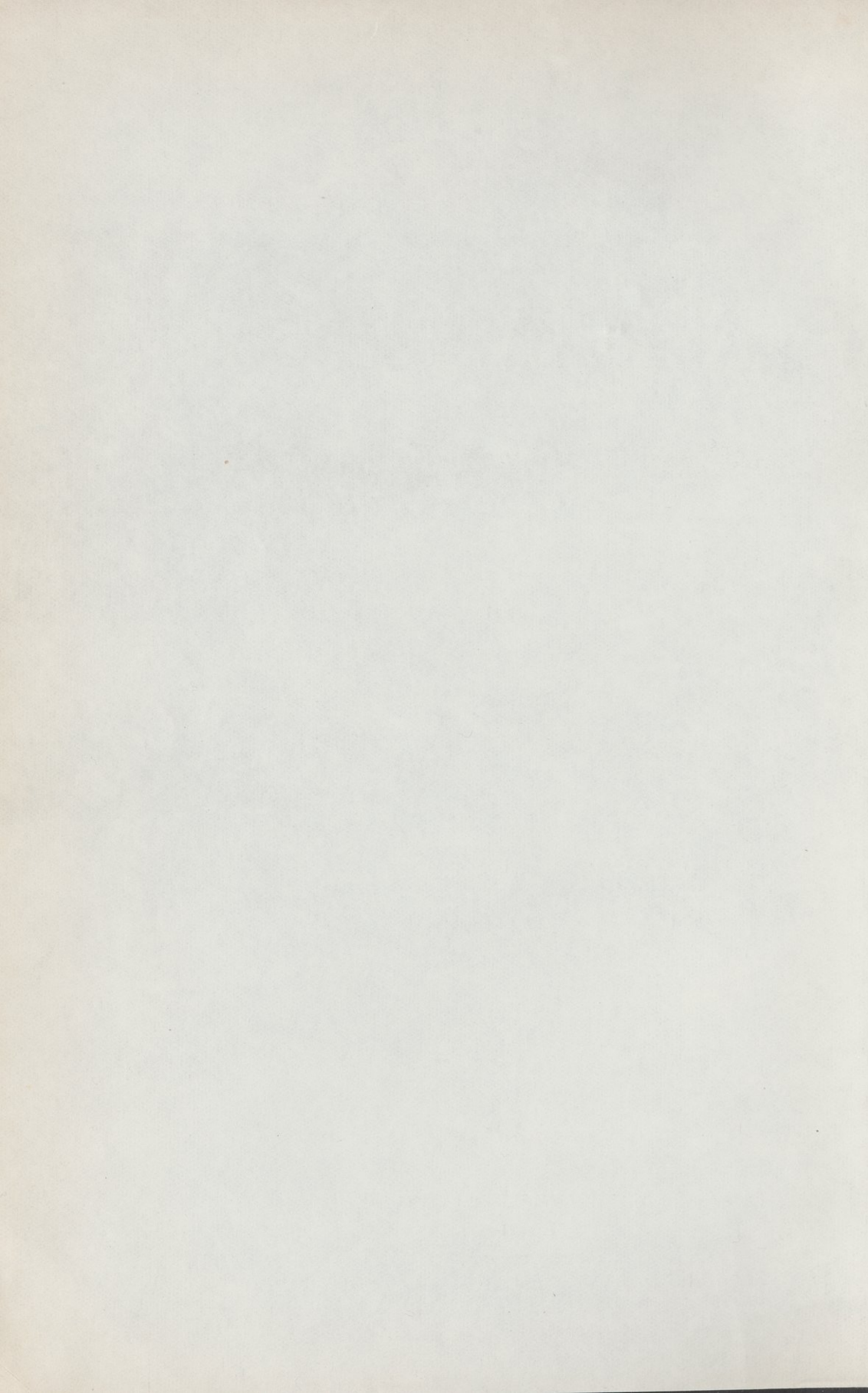
PROF. NAJI MAROUF

*Professor of Islamic History and Head of the Department of History
at the College of Arts. Baghdad University*

BAGHDAD, AL-ANI PRESS

1380 A - H

1961 A - D



THE SHARABIYA SCHOOL or The Abbasid Palace in the Baghdad Citadel

by

PROF. NAJI MAROUF

*Professor of Islamic History and Head of the Department of History
at the College of Arts. Baghdad University*

BAGHDAD, AL-ANI PRESS

1380 A - H

1961 A - D

LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library



32101 072566605

(NEC)
NA1468
.B2
M3
1961